

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la
Recherche Scientifique
Université de Béchar
Faculté des sciences humaines et sociales
Département des Sciences Humaines



وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة بشار
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم العلوم الإنسانية



محاضرات

مادة: التيارات الصوفية في الغرب الاسلامي

ماستر: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط
السداسي الثالث

إعداد: د. عبد الرحمان بلاغ

السنة الجامعية 2021-2022

Table of Contents

الورقة 0	2
1 مصادر دراسة التصوف في المشرق الاسلامي	3
2 التصوف منشؤه ومصطلحاته	16
3 مدارس التصوف في المشرق الاسلامي	25
1 : ثامننا: المدرسة الصوفية الشاذلية	34
2 طريقة صوفية تنسب إلى أبي الحسن الشاذلي، يؤمن أصحابها بجملة الأفكار والمعتقدات الصوفية، وإن كانت تختلف عنها في سلوك المريـد وطريقة تربيته بالإضافة إلى اشتهارهم بالذكر المفرد "الله" أو مضمراً "هو". (1)	34
3 سيد الطريقة أبو الحسن الشاذلي، اختلف في نسبه، فمريده، وأتباعه ينسبونه إلى الأشراف ويصلون بنسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب - رضي الله عنهما - كعادة أهل كل طريقة صوفية، وبعضهم ينسبه إلى الحسين، وبعضهم إلى (غيره، ولد بقرية شاذلة (593هـ).	34
4 انتقل في صغره إلى مدينة تونس، فبدأ ينتقل من مدينة إلى مدينة وبلدة إلى بلدة حتى حجّ ثم دخل العراق، ثم عاد والتقى بأبي محمد عبدالسلام بن مشيش (622/559هـ)، الذي كان له أكبر الأثر في حياته العلمية والصوفية. - ثم رحل إلى...تونس، وإلى جبل زغوان، حيث اعتكف للع	34
5 أسس الطريقة	34
4 مصادر دراسة التصوف في الغرب الاسلامي	35
5 المرحلة الزهدية في الغرب الإسلامي	41
6 نشأة التيار الصوفي في الغرب الاسلامي	47
7 أعلام التصوف في الغرب الاسلامي	50
8 مكانة التيار الصوفي	54
9 التيارات الصوفية في الغرب الاسلامي	61
10 اسهامات المتصوفة	65
11 اسهامات المتصوفة	70
12 خطاب الكرامة	75
13 قائمة المصادر والمراجع	80
1 المازوني، أبو عمران موسى بن عيسى ، مناقب صلحاء الشلف وهو مختصر كتاب ديباجة الافتخار في مناقب أولياء- الله الأخيار، دراسة وتحقيق، عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت	83
2 .النباهي المالقي، تاريخ قضاة الأندلس، تح: مريم قاسم الطويل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995 -	84
المحتويات	88

مصادر دراسة التصوف في المشرق الاسلامي

1- الرعاية لحقوق الله¹ لأبي عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي (243هـ)

الحارث بن أسد المحاسبي، أبو عبد الله: من أكابر الصوفية، وعلم الأصول والمعاملات ولد ونشأ بالبصرة ثم قدم بغداد، وكان هذا زمن العلوم والمعارف والائمة والمفكرين، أمثال الإمام مالك بن أنس ت 179هـ، والامام أحمد بن حنبل ت وأبي يوسف 182هـ وأبي الحسن 204هـ في علوم الشريعة، وبشر الحافي ت 227هـ والكرخي ت 200هـ، وذو النون المصري ت 245هـ²، قال عنه الغزالي (المحاسبي خير الأمة في علم المعاملة) قال عنه لويس ماسينيون في كتاب "مصطلحات التصوف": (إن المحاسبي سما فيه بالتحليل النفسي إلى مرتبة لا نجد لها مثيلا في الآداب العالمية إلا نادرا) والأستاذ ريتز (إن المحاسبي في الواقع هو منشئ مبادئ التحكم الأخلاقي المنظم في الذات في إطار التقوى الاسلامية)³

كتاب "الرعاية" يتحدث عن السلوك إلى طريق الحق تعالى وكيفية السير، ومراعاة النفس في ظاهرها وباطنها، وامتحانها واستفهامها، بحيث تستحضر حقوق الحق سبحانه وتعالى عليها في كل لحظة ونفس.

قسم كتابه إلى أبواب أولها باب الرعاية لحقوق الله والقيام بها، ثم قسم الأبواب إلى كتب وهي: كتاب الرياء، كتاب الإخوان ومعرفة النفس كتاب التنبيه العجب، الكبر، الحسد كتاب تأديب المرید، حسب السبكي في "طبقات الشافعية" أن مؤلفات المحاسبي قدرت بمائتي مصنف، أغلبها في تزيين القلوب وهداية النفوس وكتب كذلك في أصول الديانات والعقائد والرد على المعتزلة والرافضة وغيرهما، منها:

كتاب الرعاية لحقوق الله تعالى ويعد أهم مؤلفاته، وله مؤلفات أخرى المطبوعة منها 17 كتابا نذكر أهمها: كتاب بدء من أناب إلى الله تعالى، التنبيه على أعمال القلوب والجوارح، مسائل في الزهد، البعث والنشور، آداب النفوس، شرح المعرفة وبذل النصيحة المراقبة ومحاسبة، فهم الصلاة، أحكام التوبة، المراقبة والمحاسبة.

¹ - الحارث المحاسبي، الرعاية لحقوق الله، تح: عبد القادر أحمد عطا، الطبعة الرابعة (ب ت) دار الكتب العلمية بيروت لبنان،
² - بلحوت نور الدين، الحارث بن أسد المحاسبي وخصائص مدرسته في التصوف، <http://tawaseen.com/?p=3642> بتاريخ 13 فيفري 2022، الساعة 23.

³ - الزركلي، الأعلام دار العلم للملايين بيروت لبنان ط 1980، ص 5

ومن القادحين في علمه، قال ابن حجر في 'تهذيب التهذيب' (وقال أبو القاسم النصر أبادي، بلغني أن الحارث تكلم في شيء من الكلام؛ فهجره أحمد فاخفى؛ فلما مات لم يصل عليه إلا أربعة نفر)⁴ ونفس الكلام قاله ابن الجوزي⁵، مات ببغداد عام 243هـ.

2- ترتيب السلوك في طريق الله تعالى⁶ للإمام أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري الشافعي (376هـ - 465هـ):

ولد بأستوا من قرى نيسبور، وتلقى تعلمه الأولي بقريته، انتقل إلى نيسبور وتلقى الفقه على يد الإسفراييني، وأصول الفقه على يد ابن فورك، والمذهب الشافعي على يد أبوبكر الطوسي، كما قرأ مصنفات الباقلاني، وقربه الشيخ الدقاق إليه لما كان مواظبا على مجلسه الذي كان يجري فيه الحديث عن علوم القلب. وزوجه من ابنته فاطمة، التي أنجبت ستة أبناء، كلهم أئمة في أرباب الأحوال

اضطر القشيري إلى ترك نيسابور، أمام الحملة التي قادها الوزير الكندري ضد أبي الحسن الأشعري والأشاعرة، حيث استصدر أمرا سماهم بـ "المبتدعة" وتمت مهاجمتهم على المنابر، وصل المدينة المنورة التي بقي فيها حوالي عشر سنوات، ثم عاد إلى نيسابور وقضى العشر سنوات التالية (445هـ - 455هـ) في التأليف والتدريس.

له عدة مؤلفات في علم الباطن منها: الرسالة القشيرية، لطائف الاشارات، التعبير في التذكير ونحو القلوب الكبير والصغير، شكاية أهل السنة، حياة الأرواح، والدليل على طريق الصلاح والفلاح، والمعراج، ثم ترتيب السلوك وغيرها. جاء في صفحة غلاف الكتاب الأخير (هو سجل رائع لتجربته الشخصية في كيفية وصول الذاكرين إلى الحقيقة) هو رسالة تسجل تجربة ذاتية عاناها هذا الإمام وبذلك فهي رسالة سلوكية بالدرجة الأولى وتنقية وتحلية في نهاية الأمر، فهو يتحدث في رسالته المكونة من 56 صفحة عن التأدب بشيخ والذكر وامتداده وذكر الجوارح وأرباب الأحوال وعن الرؤيا وحال التمكين.

يبدأ رسالته "بداية الطريق: التأدب بشيخ"⁷، ثم يأتي الفصل الأول محاذير وعقوبات، الثاني القلب الذاكر، الثالث شروح وتعليقات، الرابع الشرب، الخامس حال جمع الجمع، ثم حينما يقتحم الشيطان

⁴ ابن حجر العسقلاني تهذيب التهذيب، دار الفكر بلد النشر بيروت 1984، 116/2

⁵ أبو الفرج جمال الدين ابن الجوزي المنتظم المحقق: محمد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة: الأولى، 1412 هـ - 309/11 1992

⁶ القشيري، ترتيب السلوك، قدم له وحققه وشرحه: د. إبراهيم البسيوني وعاونه: محمد أحمد غانم، منشورات كنوز التراث الصوفي (ب ت)

حصن أرباب الأحوال، السكون واسقاط التدبير ومطاردة النوم والغفلة، والتاسع نهاية الأحوال، ثم يعرف بالشيخ أبي الحسن، لرؤيا وحال التمكين.

من كتبه الأخرى في تفسير القرآن (لطائف الإشارات) الفتوى حياة الأرواح والدليل على طريق الصلاح والفلاح / المعراج ومؤلفات اخرى

3- الرسالة القشيرية⁸ للإمام أبو القاسم القشيري (376هـ / 465هـ):

تضمنت مقدمة الكتاب: الأسباب التي دفعته إلى تحرير الكتاب، عندما طالبه جماعة من الصوفية عام 473هـ، أن يخلد مآثر المتصوفة في زمانه؛ فقال لهم: (اعلموا رحمكم الله أن المحققين من هذه الطائفة انقرض أكثرهم، ولم يبق في زماننا هذا من هذه الطائفة إلا أثرهم .. حصلت الفترة في هذه الطريقة لا بل اندرست الطريقة بالحقيقة: مضى الشيوخ الذين كان بهم اهتداء وقل الشباب الذين كان لهم سيرتهم وسنتهم اقتداء وزال ورع وطوى بسطه واشتد الطمع وقوى رباطه...)⁹

ولما عدد الحالة التي اضحت عليها الأمة من ابتلاء وغيرته على أهل الطريقة أن يتحدث عنها بسوء، كما اضحى الوقت مستعصيا وأهله متمادون في اغترارهم (فعلقت هذه الرسالة إليكم أكرمكم الله وذكرت فيها بعض سير شيوخ هذه الطريقة في آدابهم وأخلاقهم ومعاملاتهم وعقائدهم بقلوبهم، وما أشاروا إليه من مواجدهم وكيفية ترفيهم من بدايتهم إلى نهايتهم لتكون لمن بدى هذه الطريقة قوة ومنكم لي بتصحيحها ولي في نشر هذه الشكوى سلوة)¹⁰

الباب الأول يتحدث عن أقطاب الصوفية وعلم التوحيد، والثاني في بيان عقائد أقطاب التصوف في مسائل التوحيد والثالث في ذكر مشايخ الطريقة وسيرهم وأقوالهم في تعظيم الشريعة ثم الرابع في تفسير مصطلحات هذه الطائفة والخامس في منازل السالكون ويبدوها بالتوبة وصولا إلى وصيته للمريدين.

4- قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المرید إلى مقام التوحيد¹¹ لأبي طالب المكي

مُجَّد بن عطية (ت 396هـ)

7- ترتيب السلوك، مصدر سابق، ص 25

8- أبو القاسم القشيري، الرسالة، تحقيق عبد الحلیم محمود، ومحمود بن الشریف دار الشعب القاهرة 1989،

9- نفس المصدر، ص 19

10- نفسه، ص 21

11- أبو طالب المكي، مجد بن علي بن عطية الحارثي، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المرید إلى مقام التوحيد، المحقق: د.

عاصم إبراهيم الكيالي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة: الثانية، 2005م

مُحَمَّد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب، وهو من أهل الجبل (ما بين بغداد وواسط)، يقول عنه ابن خلكان أنه كان رجلاً صالحاً مجتهداً في العبادة، له مصنفات في التوحيد، ولم يكن من أهل مكة، وإنما كان من أهل الجبل وسكن مكة فنسب إليها¹²، وسكن بغداد فوعظ فيها، فحفظ عنه الناس أقوالاً هجره من أجلها وتوفي بها.

أبو طالب مُحَمَّد بن علي بن عطية المكي الحارثي العجمي، ويلقبه الذهبي بالأستاذ، وكتابه يعد معلماً مهماً من معالم علم السلوك، أغفلت ترجمة أبي طالب في طبقات الصوفية للسلمي، (ألف في نهاية القرن 4هـ) كم اغفله صاحب كتاب حلية الأولياء ولم يذكره القشيري بين شيوخ رسالته وابن الجوزي في صفة الصفوة وابن الملقن في طبقات الأولياء والمناوي في الكوكب الدرية

أول من ترجم لأبي طالب هو الخطيب البغدادي في كتابه تاريخ بغداد، ولد بالعراق ثم هاجر لمكة فنشا بها ونسب إليها وهناك التقى بأبرز شيوخه مثل ابن الأعرابي وأبو بكر الآجري وأبو علي الكرماني غادر مكة 346هـ، ودخل البصرة ثم بغداد التي كانت حينها مقاما لعدد من المتصوفة (اجتمع الناس عليه، وعقد له مجلس الوعظ بها)¹³.

يشمل الكتاب على 48 فصلاً، منها ذكر الآيات التي فيها المعاملات والآيات التي فيها ذكر أورد الليل والنهار وذكر عمل المرید في اليوم والليلة آخرها كتاب تفصيل الحلال والحرام وما بينهما من الشبهات، والقارئ للقوت والإحياء لأبي حامد، سيجد أن الكتابان يجمعان بين الشريعة والطريقة والحقيقة نصح الشاذلي أتباعه بقرات القوت، ويقول: (عليكم بالقوت فإنه قوت) ويقول: (كتاب الإحياء يورثك العلم، وكتاب القوت يورثك النور)، واقتبس منه الكثير أبو حفص شهاب الدين السهروردي في كتابه عوارف المعارف وقال فيه: (لم يؤلف في هذا الباب مثله، وكان وما يزال مدرسة للمريدين والسالكين وكل الطرق الصوفية تستقي منه وتصدر عنه فيما تأخذ من أذكار وأداع وصلوات وصيام)

هذا الكتاب عمدة الصوفية وهو المصدر الأساسي لكتاب الإحياء، ومن نقد العلماء¹⁴ للكتاب قول الخطيب البغدادي: (صنف كتاباً سماه قوت القلوب على لسان الصوفية ذكر فيه أشياء

¹² - ابن خلكان، وفيات الأعيان، المحقق: إحسان عباس الناشر: دار صادر - بيروت الطبعة الأولى ب ت 303/4.

¹³ - المصدر السابق، ص 7

¹⁴ - عبد الله بن دجين السهلي، الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وآثارها، دار كنوز إشبيلية للنشر والتوزيع 1426م، ص 37 وما بعدها

منكرة مستشعة في الصفات) وقال ابن الجوزي (وصنف أبو طالب المكي "قوت القلوب" فذكر فيه الأحاديث الباطلة... وذكر فيه الاعتقاد الفاسد، وردد فيه قول -قال بعض المكاشفين- وهذا كلام فارغ، وذكر فيه عن بعض الصوفية أن الله عز وجل يتجلى في الدنيا لأوليائه (وقال ابن تيمية (اما الحلول العام ففي كلام أبي طالب قطعة كبيرة منه مع تبريه لفظ الحلول فإنه ذكر كلاما كثيرا حسنا في التوحيد) وقال الشاطبي (إذا احتاج الطلبة إلى كتاب قوت القلوب، طالعوه متحرزين وأما العوام فلا يحل لهم مطالعته)

يقول ابن عباد النفري، شارح حكم ابن عطاء الله في بيان قيمة الكتاب: (أما كتاب أبي طالب فعليه وقع الاختيار، إذ لم يقع بين أيدينا مثل منزعه، فإنه فيه فتح مغالق علم التصوف، وجمع فيه المعاني الصحيحة، والألفاظ الحسنة، وذكر فروع علومهم واصولها ورسم مسائلها وفصولها فكان لذلك كالمدونة في علم الفقه، يقوم مقام غيره ولا يقوم غيره مقامه)¹⁵

ويقول شيخ الاسلام ابن تيمية¹⁶ (وأبو طالب أعلم بالحديث والأثر، وكلام أهل علوم القلوب من الصوفية وغيرهم من أبي حامد الغزالي وكلامه أسدٌ وأجود تحقيقاً وأبعد عن البدعة)

ويلخص الدكتور عبد الحميد مذكور ما جاء في قوت القلوب: (وإذا اعتبرنا ثوت القلوب حصيلة لدروس الوعظ التي كان يلقيها المكي بجامع بغداد، فإن لنا أن نحدد بالموضوعات والمسائل التي كان يتناولها فقد كان يتحدث عن تطهير القلب وإخلاص النية... ثم يتناول بالحديث مقامات الصالحين وأحوال الموقنين وإخلاص أهل الخصوص من العابدين، ولم يخل حديثه من نقذات كان يوجهها إلى معاصريه لتباعدهم عن هدى السلف وأقوال الصالحين، ناثرًا ذلك كله بأسلوب رائع وعبارة طليّة)¹⁷.

مؤلفات المكي قليلة ولم يصلنا منها سوى قوت القلوب، وله كتاب مناسك الحج ذكره في ثنايا القوت

5- التعرف لمذهب أهل التصوف، للكلابادي (ت 380هـ)

¹⁵ - قوت القلوب، مصدر سابق، ص 2.
¹⁶ - أبو العباس تقي الدين أحمد ابن تيمية، مجموع الفتاوى، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية عام النشر: 1416هـ/1995م، 551/10
¹⁷ - المصدر السابق، ص 11

مُحَمَّد بن إبراهيم بن يعقوب الكلابادي البخاري، أبو بكر، من حفاظ الحديث. من أهل بخارى. يقول من ضَبَطَ الكتاب - التعرف لأهل التصوف - (أنه من أقدم وأدق الكتب التي تناولت هذا العلم بمصطلحاته ورجاله)¹⁸، وهو صورة صادقة ومرآة واضحة، تعكس ما وصل إليه المتصوفة في مواجيدهم ومجاهداتهم¹⁹.

ومنهجه في هذا الكتاب حسب الكلابادي يتمثل في (... وصف طريقتهم وبيان نحلتهم وسيرتهم من القول في التوحيد والصفات وسائر ما يتصل به، مما وقعت فيه الشبهة عند من لم يعرف مذاهبهم ولم يخدم مشايخهم، وكشف بلسان العلم ما أمكن كشفه، ووصفت بظاهر البيان ما صلح وصفه؛ ليفهمه من لم يفهم إشاراتهم، ويدركه من لم يدرك عباراتهم، ويتنفي عنهم حرص المتخرصين، وسوء تأويل الجاهلين، ويكون بيانا لمن أراد سلوك طريقه مفتقرا إلى الله تعالى في بلوغ تحقيقه، بعد ان تصفحت كتب الحدائق فيه وتتبع²⁰ حكايات المتحققين له بعد العشرة لهم والسؤال عنهم، وسميته بكتاب التعرف لمذهب اهل التصوف، إخبارا عن الغرض بما فيه)²¹

ومن الأسباب الذي دفعته لتأليف الكتاب هو تزايد كثرة المدعين التصوف وهم لا يملكون منه إلا رسمه، إذ يقول: (بعد وفاته خيار أمته ... حتى قل الرغب وفتن الطلب؛ فصار الحال أجوبة ومسائل وكتبا ورسائل فالمعاني لأربابها قريية والصدور لفمهما رحيية²²، إلى أن ذهب المعنى وبقي الاسم، وغابت الحقيقة وحصل الرسم؛ فصار التحقيق جلبية والتصديق زينة، وإدعاه من لا يعرفه وتحلى به من لم يصفه ... وأدخل فيه ما ليس فيه، فجعل حقه باطلا ... فذهب العلم وأهله والبيان وفعله فصار الجهال علماء والعلماء أذلاء. فدعاني ذلك إلى أن رسمت في كتابي هذا وصف طريقتهم وبيان نحلتهم وسيرتهم... ويكون بيانا لمن أراد سلوك طريقه مفتقرا إلى الله تعالى في بلوغ تحقيقه بعد ان تصفحت كتب الحدائق فيه، وتتبع حكايات المتحققين له، بعد العشرة والسؤال عنهم، وسميته بكتاب "التعرف لمذهب اهل التصوف" إخبارا عن الغرض بما فيه)²³

¹⁸ - أبو بكر محمد بن اسحاق الكلابادي ت 380هـ، التعرف لمذهب أهل التصوف، ضبطه وعلق عليه أحمد شمس الدين دار الكتب العلمية بيروت

لبنان، ص 3

¹⁹ - نفس المصدر، ص 3

²⁰ - نفس المصدر، ص 3

²¹ - نفسه، ص 4

²² - نفسه، ص 6

²³ - نفسه، ص 7.

يتكون الكتاب من 75 باباً يبدأها باب "قولهم في الصوفية ولم سميت الصوفية صوفيه" وآخرها باب السماع، وقد قال علماء التصوف القدامى: (لولا التعرف لما عرف التصوف)

6- إحياء علوم الدين، لأبي حامد الغزالي الطوسي (450هـ/ 505هـ):

عرض الغزالي سيرة حياته في رسالته "المنقذ من الضلال"، الذي ألفه في أواخر حياته، ولد بخرسان عام 450هـ، عرف والده بغزل الصوف وبيعته، ولذلك اشتهر بالغزالي، لجأ بمعية أخيه أحمد إلى المدرسة النظامية كما قال: (نطلب الفقه لتحصيل القوت)²⁴، لما نفذ ما تركه والدهما لهما من مال عند صديق والدهما، ارتحل بعد ذلك إلى الإمام الجويني (ت 478هـ) بنيسابور وعمره 20 عاماً، ثم انتظم في سلك العلماء الذين أحاطوا بالوزير نظام الملك بعد ثمان سنوات، قدم الغزالي بغداد ثم خرج منها 488هـ، لمكة، وعاد بعد عَزلة دامت حوالي 10 سنوات، إلى نيسابور للتدريس والخطبة حوالي 499هـ.

ذكر الغزالي عن نفسه - لما دخل في التصوف - قال: (فابتدأت بتحصيل علمهم من مطالعة كتبهم، مثل قوت القلوب لأبي طالب المكي)، وقال محمود عزنوس (صحيح أن الغزالي أخذ أكثر كتابه عن قوت القلوب، وليس له في كثير من المواطن إلا البسط والمزيد من التنظيم والتقسيم)، وقال القاضي عياض: (والشيخ أبو حامد ذو الأنباء الشنيعة والتصانيف الفظيعة، غلا في طريق التصوف، وتجرد لنصر مذهبهم، وصار داعية في ذلك، وألف فيه تواليفه المشهورة، أخذ عليه فيها مواضع، وساءت به ظنون أمة، والله أعلم بسرره، ونفذ أمر السلطان عندنا بالمغرب، وفتوى الفقهاء بإحراقها والبعد عنها، فامتثل ذلك)²⁵، نقله الذهبي 327/19.

نظم الغزالي كتابه على طريقة فريدة، فقد قسمه إلى أربعة أرباع. الربع الأول: العبادات، الربع الثاني: العادات، الربع الثالث: المهلكات، الربع الرابع: المنجيات. ثم قسم كل ربع من هذه الأرباع إلى عشرة كتب، وكل كتاب مقسم إلى أبواب، تكبر وتصغر حسب الموضوع، والأبواب محتوية على فصول تطول وتقصر أيضاً.

²⁴ - الحنبلي عبد الحي بن العماد بيروت دار الكتب العلمية ب ت 11/4 تحقيق: محمد صديق المنشاوي دار الفضيلة، القاهرة (ب ت)
²⁵ - الذهبي، سير أعلام النبلاء، المحقق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الثالثة، 1405 هـ / 1985، 327/19.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية (والإحياء فيه فوائد كثيرة، لكن فيه مواد مذمومة، فإنه فيه مواد فاسدة من كلام الفلاسفة تتعلق بالتوحيد والنبوة والمعاد، فإذا ذكر معارف الصوفية كان بمنزلة من أخذ عدواً للمسلمين ألبسه ثياب المسلمين)²⁶، وإذا صح ما قاله عنه محي الدين بن العربي الذي كان معاصراً للغزالي (شيخنا أبو حامد بلع الفلاسفة، وأراد أن يتقيأهم فما استطاع)²⁷؛ فإن الغزالي هو صاحب كتاب "تهافت الفلاسفة"؟؟ وقال عنه الذهبي: (فرحم أبا حامد، فأين مثله في علومه وفوائده ولكن لا ندعي عصمته من الغلط والخطأ، ولا تقليد في الأصول)²⁸، إذا كان الغزالي قصد بكتابه إحياء علوم الدين المدرسة، فالوضع العلمي الاسلامي اليوم يسعى لـ "إحياء قشور الدين"؟؟

7- معجم التعريفات، علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني (ت 816هـ / 1413هـ)

هو علي بن محمد بن علي الشريف الجرجاني الحنفي، ولد بجرجان بالقرب من بحر قزوين، عام 740هـ، عاش محباً للعلم، طاف البلدان حيث رحل إلى مصر، والشام وبلاد الروم، من شيوخه، محمود الباطني الحنفي، جمال الدين محمد الأقسرائي، والنور الطاووسي، والعلامة مخلص الدين، وأخذ التصوف عن الشيخ علاء الدين العطار النقشبندي وغيرهم. ذاع صيته وارسل في طلبه الملوك والسلاطين خاصة بعد المناظرة التي جرت بينه وسعد الدين التفتازاني قصده الطلاب وأخذ عنه الأكابر وبالغوا في تعظيمه لا سيما علماء العجم فإنهم جعلوه والسعد التفتازاني حجة في علومهما توفي بشيراز 816هـ وقيل عام 838هـ²⁹ من مؤلفاته تفسير الزهراوين، حاشية على الكشاف، حاشية مشكاة المصابيح فن أصول مصطلح الحديث.

المؤلف هو قاموس يشمل العديد من المصطلحات والتعريفات، مثل علم الفقه واللغة والفلسفة والمنطق والتصوف والنحو وغيرها.

8- طبقات الصوفية ويليها ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات³⁰ للسلمي النيسابوري (ت 416هـ)

وله تاريخ الصوفية ويذيله بمحن المتصوفة ترجم فيه لصوفية أهل السنة

²⁶ - مجموع فتاوى ابن تيمية، مصدر سابق، 10 / 552

https://www.islamweb.net/ar/library/index.php?page=bookcontents&idfrom=1057&idto=1062&bk_no=22&ID=633

²⁷ = بتاريخ 10 فبراير 2022 الساعة 17

²⁷ - سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، 19 / 327.

²⁸ - نفس المصدر، 19 / 346.

²⁹ - الجرجاني التعريفات، تحقيق: محمد صديق المنشاوي دار الفضيلة، القاهرة (2004)، ص 5

³⁰ - أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمي، طبقات الصوفية ويليها ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات، حققه وعلق عليه: مصطفى عبد القادر عطا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط الثانية 2003.

أبو عبد الرحمن مُحمَّد بن الحسين بن مُحمَّد بن موسى الأزدي ، السلمي الأم ، الإمام الحافظ المحدث ، شيخ خراسان وكبير الصوفية ، أبو عبد الرحمن النيسابوري الصوفي ، صاحب التصانيف . سمع كثيرا من جده لأمه إسماعيل بن نجيد ، ومن خلق كثير . وله رحلة إلى العراق .

بدء التصنيف حوالي 350هـ، وصنف في علوم القوم سبعمائة جزء، وفي أحاديث النبي ﷺ، من جمع الأبواب والمشايخ وغير ذلك ثلاثمائة جزء، وكانت تصانيفه مقبولة 31 . قال : أصل التصوف ملازمة الكتاب والسنة، وترك الأهواء والبدع، وتعظيم حرمت المشايخ، ورؤية أعدار الخلق، والدوام على الأوراد.

أفصح السلمي في خطبة الكتاب عن منهج الكتاب باعتباره من كتب التراجم، ومضمونه (وقد ذكرت في كتاب الزهد من الصحابة والتابعين وتابعي التابعين قرنا فقرنا وطبقة طبقة إلى أن بلغت النوبة إلى أرباب الحوال المتكلمين ... فأحببت أن أجمع في سير متأخري الأولياء كتابا أسميه طبقات الصوفية اجعله على خمس طبقات من ائمة القوم ومشايخهم وعلمائهم فأذكر في كل طبقة عشرين شيخا من ائمتهم الذين كانوا في زمان واحد أو قريب بعضهم من بعض) 32، بيده الطبقة الأولى بالفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي وهو بخاري الأصل (ت 187هـ) 33 .

وقد اعتمد في مؤلفه على عديد المصادر مثل: تاريخ بغداد، حلية الأولياء، طبقات الهروي، نفحات الأنس، طبقات الشعراي
طبقات الأولياء³⁴، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الأندلسي المصري الملقب بابن الملقن (723-804هـ)

كان يلقن كتاب الله، فدعي ابن الملقن، أخذ الفقه عن أعلام عصره من الشافعية مثل تقي الدين السبكي والعريية عن أبي حيان الغرناطي³⁵ .

جاء في مقدمة الكتاب جاء فيها (فهذه جملة من طبقات الأعلام والأعيان، وأوتاد الأقطاب في كل قطر وأوان، جمعهم لأهتدي بمآثرهم وأقتفي بآثارهم رجاء أن أنظم في سلكهم "فالمرء مع من أحب" وأحيا بذكرهم ويزول عني النصب)³⁶ .

³¹ - سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، 247 / 17

³² - السلمي، نفس المصدر، ص 21

³³ - نفسه، ص 22

³⁴ - ابن الملقن، طبقات الأولياء، تح: نور الدين سريية، مكتبة الخانجي القاهرة، ط 2، 1994.

³⁵ - نفس المصدر 32 / 1

9- كتابه الطبقات الكبرى أو لواقع الأنوار القدسية في مناقب العلماء والصوفية، عبد الوهاب الشعراي 897هـ/ ت 973هـ/ 1565م

الإمام عبد الوهاب بن أحمد بن علي الشعراي الشافعي الشاذلي المصري، وأطلق عليه لقب الشعراي نسبةً إلى قريته "أبي شعرة"،³⁷ وقد ساعده ذلك على الاطلاع والإلمام بجميع علوم عصره من فقه، وتفسير، وحديث، ولغة، وقواعد، وأصول، والتصوف، كما أثرى الشعراي التراث الإسلامي بالعديد من المؤلفات القيمة³⁸، إذ قيل إنه ألف ما يقارب الثلاثمئة كتاب، تناول فيها مواضيع مختلفة في الطب، والنحو، والتفسير، والفقه، والتصوف، وغيرها الكثير.

هذا الكتاب هو تراجم العلماء والصوفية، يقول الشعراي في مقدمته (فهذا كتاب لخصت فيه طبقات جماعة من الأولياء الذين يقتدى بهم في طريق الله تعالى من الصحابة والتابعين إلى آخر القرن التاسع وبعض العاشر ومقصودي بتأليفه فقه طريق القوم في التصوف من آداب المقامات والأحوال لا غير ولم أذكر من كلامهم إلا عيونه وجواهره دون ما شاركهم غيرهم فيه مما هو مسطور في كتب أئمة الشريعة)³⁹.

ومن خلال ما ورد في مقدمة الكتاب يتضح أن الأباطيل التي ألصقت بأهل الطائفة هي التي دفعته للتأليف، فهذا الكتاب (تزيد الناظر فيه اعتقاداً في هذه الطائفة، وتشير من طرف خفي إلى الانكار على هذه الطائفة لم يزل عليهم في كل عصر)⁴⁰، كما أشار إلى منهجه في التأليف، وهو منهج المحدثين، وما كان من أقوال ومؤلفات الكتب كرسالة القشيري، والحلية لأبي النعيم، ويرى أن التصوف (إنما هو زبدة عمل العبد بأعمال الشريعة، إذا خلا عمله من العلل أو حظوظ النفس، كما أن علم المعاني والبيان زبدة علم النحو)⁴¹.

10- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصبهاني ت 430هـ/ 1038م.

³⁶ - نفسه، 4/2

³⁷ - عبد الحفيظ فرغلي علي القرني، عبد الوهاب الشعراي إمام القرن العاشر، الهيئة المصرية للكتاب 1985، ص ص 24-27

³⁸ - مثل: الدرر المنتورة في زيد العلوم المشهورة، المقدمة النحوية في العلوم العربية، الأنوار القدسية في معرفة آداب العبودية، تنبيه المغترين في آداب الدين، لطائف المنن. الكوكب الشاهق في الفرق بين المرید الصادق وغير الصادق. أدب القضاة

³⁹ - عبد الوهاب الشعراي، الطبقات الكبرى المسمى لواقع الأنوار في مناقب العلماء والصوفية، ضبطه وصححه: عبد الغني محمد علي الفاسي،

دار الكتب اعلمية، بيروت، 10/1

⁴⁰ - المصدر نفسه، 7/1

⁴¹ - نفس المصدر، 12/1

أبو نعيم أحمد بن عبد الله ابن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصفهاني، كان من أعلام المحدثين وأكابر الحفاظ الثقات، نشأ أبو نعيم في بيت يحب العلم ويقدر أهميته، فمنذ نعومة أظفاره أخذ والده ت (365هـ) بيده للتلقي عن عدد من شيوخ ذلك العصر، فقد كان والده محدثاً رحالاً نعتة الذهبي بقوله: "الحافظ الإمام" ثم قال عنه: (وكان صدوقاً، عالماً، بكر بولده وسمّعه من الكبار)⁴²، استجاز له من جماعة من كبار المجيزين في عصره، وتفرد بالرواية عنهم، هو من علماء السنة وألف في فضائل أهل البيت وأكثر من ذكرها في كتبه فاحتمل بعض العلماء تشييعه، أحصى له الباحث سعيد بن صالح الرقيب 92 مؤلفاً⁴³

يبدو أن أحد معاصريه طلب منه أن يجمع بعض أقوال المتحقيقين من المتصوفة: (فقد استعنت بالله عز وجل واجبتك إلى ما ابتغيت، من جمع كتاب يتضمن أسامي جماعة وبعض احاديثهم وكلامهم؛ من اعلام المتحقيقين من المتصوفة وأئمتهم وترتيب طبقاتهم من النساك ومحجتهم من قرن الصحابة والتابعين وتاييعيهم ومن بعدهم... ومن أهل الدعاوى من المقسوفين ومن الكسالى والمتبطين المتشبهين بهم في اللباس والمقال والمخالفين لهم في العقيدة والفعال)⁴⁴

منهج الكتاب يتمثل في ترتيب الأولياء حسب حروف المعجم وقد بدء بأسماء أهل الصفة ومنهم أوس بن أوس الثقفي من كتبه، دلائل النبوة، الإمامة والرد على الرفضة، الضعفاء، تاريخ أصبهان. معرفة الصحابة، الطب النبوي

11- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين⁴⁵، ابن قيم الجوزية (691هـ-751هـ)

هو مُجَّد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي الحنبلي، كان والده رحمه الله وهو من علماء دمشق، قِيماً على المدرسة الجوزية بدمشق، فكان أبوه قيم الجوزية فأطلق عليه ابن قيم الجوزية، ومما يذكر عن ورعه، قال ابن حجر: (وكان إذا صلى الصبح جلس مكانه يذكر الله حتى يتعالى النهار، ويقول: هذه غدوتي لو لم أقعدها سقطت قواي)، وقال عنه الذهبي (الفقيه الإمام المفتي المتفنن النحوي.. عني

42 - سير أعلام النبلاء، مصدر سابق، 281/16.

43 - سعيد بن صالح الرقيب، التعريف بأبي النعيم الأصفهاني وبكتابه حلية الأولياء، منشور شبكة الألوكة (ب، ت) ص ص، 5-7

44 - نفس المرجع، ص ص 3-4

45 - ابن القيم الجوزية، مدارج السالكين، تح: ناصر بن سليمان وعلي بن عبد الرحمن القرعاوي وصالح بن عبد العزيز، خالد بن عبد العزيز الغنيم ومحمد بن عبد الله الخضري، دار الصمعي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2011،

بالحديث متونه ورجاله، وكان يشتغل في الفقه ويجيد تقريره، وفي النحو ويدريه وفي الأصلين⁴⁶، كما كان مولعا بالكتب، حتى قال عنه الحافظ ابن كثير: (واقنتي من الكتب ما لا يتهيأ لغيره تحصيل عشر معشاره من كتب السلف والخلف)⁴⁷.

تطرق ابن الجوزي في كتابه⁴⁸ لعامة مسائل العقيدة؛ فتكلم فيه على أنواع التوحيد عرضا لمنهج أهل السنة، وردا على مذاهب أهل البدعة، وقد ابتداء مقدمة كتابه بالفاتحة وما اشتملت عليه من أمهات المطالب، وركز على قضية الأسماء والصفات وإثباتها لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته، وكذلك مسائل الألوهية وتحقيق العبودية، وتناول مسائل القدر والايمن والشرك والفسق والكبائر والصغائر، وتحدث فيه عن مسائل السلوك والأخلاق والمقاصد والنيات والمقامات والأحوال، وتحدث فيه عن الصوفية وبين أصنافهم ومقالاتهم المقبول منها والساقط، وتحدث فيه على النفاة من الجهمية والمعتزلة وتجلي فيه منهج أهل السنة في مسائل أعمال القلوب.

12- كتاب منازل السائرين لشيخ الاسلام عبد الله الانصاري الهروي (396-481هـ/ 1007-1089م) 49

يتحدث في مقدمة الكتاب ان جماعة من أهل هراة والغرباء الراغبين في الوقوف على منازل السائرين إلى الحق ولما كثرت عليّ مسالتهم فأجبتهم بذلك في استخارتي لله واستعانتني به⁵⁰.

ثم ذكر منهج المصنف حيث رتب لهم المنازل ترتيبا يفيد تواليها ضمن فصول وأبواب ولا يورد فيه كلام غيره كما أنه مختصرا مع مراعاة أن يكون ألطف في عباراته حيث جعل المقامات مائة مقام مقسومة على عشرة أقسام ولا يصح للبعد مقام حتى يرتفع عنه كما يشير أن هناك تصانيف في هذا الموضوع لكنهم حسب قوله: (منهم من أشار إلى الوصول ولم يف بالتفصيل ومن من جمع الحكايات ولم يلخصها تلخيصا ومنهم من لم يميز بين مقامات الخاصة وضرورات العامة ومنهم من عدّ شطح المغلوب مقاما ... وأكثرهم لم ينطق عن الدرجات)⁵¹.

⁴⁶ - نفس المصدر، 96 / 1

⁴⁷ - نفسه، 92 / 1

⁴⁸ - نفسه، ج 1/ ص 5-6

⁴⁹ - الهروي، منازل السائرين، دار الكتب العلمية، بيروت 1988

⁵⁰ - نفس المصدر، ص 4

⁵¹ - نفس المصدر، ص 6

ويلخص المقامات في ثلاثة رتب الرتبة الاولى: أخذ القاصد في السير والثانية دخوله في الغربة والثالثة حصوله على المشاهدة الجاذبة إلى عين التوحيد في طريق الفناء⁵².

ومن المؤلفات الأخرى:

طبقات الصوفية للسلمي السلمي (ت 416هـ) / جمهرة الأولياء للمنوفي الحسيني / نفحات الأنس للجامي / أوراد الأحاب وفصوص الآداب، ابو المفاخر يحيى / المحبة والشوق - منهج العابدين الغزالي / الخبر الدال على وجود القطب والأوتاد السيوطي / الحلاج، ديوان منصور الحلاج / عبد القادر الجيلاني الفتح الرباني والفيض / سراج الطوسي (ت 378هـ) اللمع فيه منقولات ضعيفة وقد قال ابن تيمية اللمع خير من الرسالة القشيرية / ابن تيمية، الصوفية والفقراء - الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان فضائح الباطنية / الشوكاني، ولاية الله والطريق إليها. / ابن الجوزي صفة الصفوة / ابن الجوزي تلبس إبليس وذم الهوى

⁵² - أبو اسماعيل عبد الله الهروي، منازل السائرين، دار الكتب العلمية (ب ت)، ص 7

التصوف منشؤه ومصطلحاته

أولاً: مفهوم التصوف:

1- لغة:

تصوّف يتصوف تصوفا فهو متصوف، تصوّف الشخص؛ أي صار صوفيا واتبع سلوك الصوفية وحالاتهم، أو لبس الصوف¹، التصوف: الفعل المشتق منه فعله صفا يصفو، أو صف يصف ولم يرد من صفا التصوف ولا من صف كذلك². قال ابن خلدون في المقدمة (و لا يشهد لهذا الاسم اشتقاق من جهة العربية ولا قياس، والظاهر أنه لقب، ومن قال اشتقاقه، الصفا أو من الصفة فبعيد من جهة القياس اللغوي، قال: وكذلك من الصوف ... قلت: والأظهر إن قيل بالاشتقاق إنه من الصوف، وهم في الغالب محتصون بلبسة لما كانوا عليه من مخالفة الناس في لبس فاخر الثياب، إلى لبس الصوف)³

2- اصطلاحاً:

تتباين مفاهيم التصوف انطلاقاً من منطلقات أصحابها، وتصوراتهم وعقائدهم عن هذا المجال، فالمنخرط في التصوف له مفهومه للتصوف انطلاقاً من تجربته الشخصية، ومعتقداته، فمفهوم الفقيه المتصوف يختلف عن الفيلسوف المتصوف، وكلاهما يختلفان عن صاحب التصوف العفوي، أما من ينظر له من خارج التجربة الصوفية لهم مفاهيمهم بين من ينظر إليه كتعبير عن أزمة نفسية، أو بحث عن مكانة اجتماعية، أو ممارسة خرافية، ومنهم من ينصف التصوف.

الإمام الجنيد يرى التصوف في التسليم لله بالكلية: (التصوف أن تكون مع الله بلا علاقة)⁴، وهناك من يرى التصوف في صفاء الخلق، مثل ابن القيم الجوزية في مدارج السالكين يراه في صفاء الخلق (واجتمعت كلمة الناطقين في هذا العلم على أن التصوف هو الخلق).

¹ - جامع المعاني . <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B5%D9%88%D9%81/>

بتاريخ 2022 /02/11

² - أبو بكر جابر الجزائري، إلى التصوف يا عباد الله، دار البصيرة، 2015، ص 16

³ - ابن خلدون، المقدمة، دار الفكر، بيروت، لبنان، ص ص 467 468

⁴ - السهرودي، عوارف المعارف، دار الكتب العربية، 1999. ص 62

ويختصر سحنون المالكي (ت 256هـ) وغيره التصوف في الزهد: (التصوف هو أن لا تملك شيئاً ولا يملكك شيء)، وكذا الأصبهاني بقوله: (التصوف الرضا بالقسمة والسخاء بالنعمة)⁵، ويراه الغزالي (ت 505هـ) في الزهد والتقوى والتطلع إلى دار الخلود: (إنه انصراف عن الشيء إلى ما هو خير منه فكل من باع الدنيا بالأخرة فهو زاهد في الدنيا وقوام هذا الزهد التقوى وكف النفس عن الهوى وقطع علاقة القلب عن الدنيا بالتجاني عن دار الغرور والإنابة إلى دار الخلود)⁶، ويربط معروف الكرخي (200هـ / 815م) بين الزهد والتصوف: (التصوف الأخذ بالحقائق واليأس مما في أيدي الخلائق)⁷.

أبو اسحاق الشاطبي يحاول في مفهومه للتصوف الربط بين الظاهر من الأخلاق السنية والباطن بالبقاء في حضرته تعالى: (ولفظ التصوف لا بد من شرحه أولاً حتى يقع الحاكم على أمر مفهوم... فلنرجع إلى ما قال فيه المتقدمون، وحاصل ما يرجع فيه لفظ التصوف عندهم معنيين: أحدهما التخلق بكل خلق سني والتجرد عن كل خلق دنيء، والأخر الفناء عن نفسه والبقاء لربه، وهما في التحقيق إلى معنى واحد... فيكون الأول عملاً تكليفيًا والثاني نتيجة... ومجموعهما هو التصوف)⁸، وذلك ما ذهب إليه الجرجاني (ت 816هـ) في التعريفات من أنه: (الوقوف مع الآداب الشرعية ظاهراً، فيرى حكمها من الظاهر في الباطن، وباطناً فيرى حكمها من الباطن في الظاهر، فيحصل المتأدب بالحكمين كمال)⁹.

أما ابن الجوزي (510هـ - 1116م / 592هـ) فهو لم يذم التصوف في حد ذاته وإنما ذم ممارسات بعض من ينسبون أنفسهم للتصوف: (وحاصله أن التصوف عندهم رياضة النفس ومجاهدة الطبع برده عن الاخلاق الرذيلة... وعلى هذا كان أوائل القوم، فلبس عليهم إبليس في أشياء، ثم لبس على بعدهم من تابعيهم فكلموا مضي قرن زاد طمعه في القرن التالي فزاد تلبيسه عليهم إلى أن تمكن من المتأخرين غاية التمكن)¹⁰ كما ذكر في تلبيس إبليس أن الزهد لم يذمه أحد لكن التصوف فقد ذموه.

⁵- أبو منعم الاصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الاصفياء، دار الكتب العلمية- بيروت طبعة 1409هـ، 2 / 217

⁶-أبو حامد الغزالي، الإحياء، دار المعرفة - بيروت 221/4

⁷- السهروردي، عوارف المعرف، طبعة دار المعارف، بيروت (ب ت)، ص: 62.

⁸- الشاطبي الاعتصام، 1 / 207

⁹- علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة: الأولى

1403هـ-1983م، ص 59

¹⁰- كتاب التصوف، المنشأ والمصادر، إدارة ترجمان السنة 1986، ص 45.

وابن حزم (384هـ = 994م / 456هـ) خص في كتابه الفصل في الملل والنحل فصلا لذكر "شنع قوم لا تعرف فرقهم" وقال : (وادعت طائفة من الصوفية أن في أولياء الله من هو أفضل من جميع الانبياء، وأن من عرف الله فقد سقطت عنه الأعمال) جاء في كتاب تلبيس إبليس (ما على الشريعة أحد من المتكلمين والمتصوفين فهؤلاء -المتكلمون- يفسدون عقائد الناس بتوهامات شبهات العقول وهؤلاء -المتصوفة- يفسدون الأعمال ويهدمون قوانين الأديان، فالذي يقول حدثني قلبي عن ربي فقد استغنى عن رسول الله (ص)، وقد خبرت طريقة الفريقين فغاية هؤلاء "المتكلمين" الشك وغاية هؤلاء "المتصوفة" الشطح)¹¹.

وما نستنتجه من جملة المفاهيم، التصوف هو تجربة شخصية، تستهدف السير بالإنفس البشرية إلى الروحانية مُبتغى، والالتزام بالأصول منهجا، والكلام في المواجد والأحوال. وهو كما قال صاحب كتاب مدخل للتصوف (التصوف فلسفة حياة تهدف إلى الترقى بالإنفس الإنسانية أخلاقيا وتحقق بواسطة رياضات علمية معينة تؤدي إلى الشعور في بعض الأحيان بالفناء في الحقيقة الاسمي، وللعرفان بها ذوقا لاعتقلا، وثمرتها السعادة الروحية ويصعب التعبير عن حقائقها بألفاظ اللغة العادية لأنها وجدانية الطابع وذاتية)¹².

ثانيا: اشتقاق مصطلح التصوف: تباينت اشتقاقات مصطلح التصوف

التصوف من الصفة: هم الجماعة الذين أقاموا بمسجد النبي (ص) واعتزلوا الدنيا اضطرارا، ومنهم: بلال بن رباح، سلمان الفارسي، أبو ذر الغفاري، أبو موسى الأشعري، فأصبحت العزلة والزهد خاصة بهم. التصوف من الصفاء: يرى القشيري (ت 465هـ / 1017م) أنه من الصفاء الذي يطبع النفس. التصوف من الحكمة: هناك من وجد لها اشتقاق في اليونانية وعي الحكمة صوفيا "ثيوصوفيا". وهناك من يرى انه نسبة لقبيلة بني صوفة وهي قبيلة عربية اشتهرت قبل الاسلام بخدمة الكعبة، جاء عند ابن تيمية، على ربط مصطلح التصوف باسم رجل أو قبيلة، حيق يقول: وهذا وإن كان موافقا للنسب من جهة اللفظ، فإنه ضعيف لأن هؤلاء غير مشهورين ولا معروفين عند أكثر الناس، ولأنه لو نسب النساك إلى هؤلاء لكان هذا النسب في زمن الصحابة والتابعين أولى

¹¹ - محمد العبدية وطارق عبد الحليم، الصوفية نشأتها وتطورها، هنداوي، لنشر المعرفة والثقافة ص 7 - 11

¹² - أبو الوفاء التفتازي، مدخل للتصوف الاسلامي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 3، ص 8

ولن غالب من تكلم باسم الصوفي لا يعرف هذه القبيلة ولا يرضى أن يكون مضافا إلى قبيلة في الجاهلية لا وجود لها في الاسلام¹³

وهناك من يرى أن كلمة صوفية لا يشهد لها قياس ولا اشتقاق في اللغة العربية، مثل أحمد بن علي المقرئ في "المصباح المنير"¹⁴، كما نجد في "الصحاح" للجوهري (أن الصوف للشاة والصوفة أخص منه وصوفة أي حيٌّ من مضر وهو الغوث بن مريم بن أدين بن طابحة بن إلياس ابن مضر، كانوا يخدمون الكعبة في الجاهلية ويحيزون الحاج أي يغضون بهم)¹⁵

رابعاً: عوامل ظهور التصوف:

تعددت الآراء حول نشأة التصوف ومصدره وعلى الرغم من تعددها فإنه يمكن حصرها في اتجاهين رئيسيين هما¹⁶:

يرى البعض أنه لا صلة للإسلام بالتصوف، معتبرا أنه نتاج تأثيرات دينية وعرقية لأقوام وحضارات دخلت الإسلام وتأثر بها بعض الناس، وقد انتج ذلك مزيجا من التصورات جمعت بين بين (روح الشرق ومنطق الاغريق)

وفريق آخر يرى أنه نتاج الزهد الذي عرف به الرسول مُجَّد ص وكثير من الصحابة والتابعين بفعل الآيات القرآنية والأحاديث التي حملت معاني الزهد.

1- المؤثرات الداخلية:

يقول إبراهيم مذكور: (التصوف ظاهرة إسلامية نبتت في جو الاسلام وبيئته وتأثرت أساسا بفعل النبي ص وأصحابه واعتمد على ما جاء في الكتاب والسنة) تم تعرض لمؤثرات خارجية كالظواهر الإسلامية الأخرى. كما قال عمر فروخ (الصوفية حركة بدأت زهدا وورعا ثم تطورت فأصبحت نظاما شديدا في العبادة، ثم استقرت اتجاهها نفسيا وعقليا بعيدا عن مجراها الأول، وعن الاسلام في كثير من أوجهها المتطرفة)

¹³ - الصوفية والفقراء، ضمن مجموع فتاوي ابن تيمية، نقلا عن: نظرات في التصوف، عبد الحميد عيد مذكور، دار الهاني، القاهرة 2006، ص

¹⁴ - المصباح المنير المطبعة الأميرية الطبعة الخامسة، 481/1.

¹⁵ - أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، الطبعة الأولى، القاهر 322/3
¹⁶ - ولد البشير، محمد المصطفى، التصوف الإسلامي : المصادر، المؤثرات، الأدوار، دورية كان التاريخية، سبتمبر 2016، العدد 33 ص 85.

أما إمام أهل السلوك الحارث المحاسبي (ت 243هـ) فيرى أن أحوال المجتمع الاسلامي الذي تبدلت به الأحوال هي التي أدت لظهور التصوف عند حديثه عن أهل زمانه: (إني تدبرت أحوالنا في عصرنا هذا، فأطلت فيه التفكير، فرأيت زمانا مستعصيا، قد تبدلت فيه شرائع الإيمان ... وتغيرت فيه معالم الدين، ... وذهب الحق، وباد أهله، وعلا الباطل، وكثر أتباعه، ورأيت فتنا متراكمة يحار فيها اللبيب، ورأيت هوى غالبا، وعدوا مستكلبا، وأنفسا والهة، وعن التفكير محجوبة ... فالضماير والأحوال في دهرنا بخلاف أحوال السلف وضمايرهم)¹⁷؛ كما أن علماء زمانه تكلفوا في التباهي بعلمهم (وهو مع ذلك لا يألو في حسن النطق وإتقان الكلم جهدا، ويزعم ذلك حكمة تجري على لسانه....وعساه هنالك إمرة وأمارة، يكرم من صوب فعله، ويبر من حمد أمره...ويجد على من رد عليه شيئا من قوله، متجبر في غضبه، مستنصر لنفسه)¹⁸.

2- المؤثرات الخارجية:

فهي متعددة ومتنوعة:

- **المؤثرات الهندية:** أثر التصوف الاسلامي بحياة التقشف والزهد ومجاهدة النفس التي مارسها الهنود خاصة احتقارهم للذات الجسدية التي تركز على قهر الجسد وتعذيبه، يصفهم الجاحظ (إن هؤلاء سياح والسياسة بالنسبة لهم في حكم التوقف واعتزال .. في الصوامع والأديرة وتلك الجماعة يسافرون دائما إثنين إثنين ويسيحون بحيث إذا رأى الانسان واحدا منهم يتيقن أن الثاني ليس ببعيد عنه إلى حد ما ... ومن عاداتهم أنهم لا ينامون ليلتين في مكان واحد ول هؤلاء السياح خصال أربع القدس والطهارة والصدق والمسكنة) وقد وصف أبو الفتح الشهرستاني فرقة من الهنود (فاكتفوا بالقليل من الغذاء على قدر ما تثبت به أبدانهم ومنهم من كان لا يرى ذلك القليل أيضا ليكون لحاقه بالعالم الأعلى أسرع) التصوف المنظم بدأ مع إبراهيم بن أدهم.
- **المؤثرات الفارسية:** تظهر في وصول بعض المصطلحات للتصوف الاسلامي حيث قال السهروردي: (وكان فالفرس أمة يهدون بالحق وبه كانوا يعدلون حكماء فضلاء غير مشبهة الجوس قد أحيينا حكمتهم النورية الشريفة التي يشهد بها ذوق أفلاطون ومن قبله في الكتاب

¹⁷- أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين السلمى، طبقات الصوفية ويلييه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات، حققه وعلق عليه: مصطفى عبد القادر عطا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط الثانية 2003. ص 4

¹⁸- نفس المصدر، ص 4

المسمى (حكمة الاشراف) فالاشراق والكشف والتجرد وغيرها من التعابير ذات الدلالة على الصوفية، فالفرس لما امتزجوا بالحضارة الاسلامية أخذوا معهم تراثهم وحضارتهم وثقافتهم العريقة - **المؤثرات المسيحية:** كان العرب في جاهليتهم ينظرون إلى الرهبان بكثير الاحترام فنظام الرهبنة يقوم على البعد عن ترف الحياة والانزواء في الأديرة والرضا القليل من الملابس والمأكل قال تعالى: (لتجدن أشد الناس عداوة للذين ...)

يرى "فون كرمر"¹⁹: أن التصوف الاسلامي والأقوال المأثورة عن الصوفية على أنها ثمرات نمت وترعرعت ونضجت في بلاد العرب تحت تأثير جاهلي، حيث كان كثير من العرب الجاهليين نصارى، وكان كثير من هؤلاء النصارى قسيسين ورهبانا. وجولد زيهير: يستند إلى ما تفرقه النصرانية من إثارة الفقر والفقراء على الغني والأغنياء، فيزعم أن ما ورد في الحديث النبوي من هذا المعنى مستمد من النصرانية ويضيف عليه نيكسون ما يصطنعه الصوفية من صمت وذكر فيزعم أنه مأخوذ من النصرانية.

خامسا: نشأة التصوف:

يرى الإمام القشيري، أنه على عهد رسول الله لم يتسم أفاضلهم بعلم معين إلا صحبة رسول الله فقيل لهم الصحابة، لأنه لا أفضلية فوقها، وكان ينسب الصلاح للصلحين إلا بقولهم مسلم ومؤمن، ثم أطلق عليهم زاهد وعابد، ثم نشأ أقوام بعدهم تعلقوا بالزهد والتعبد واتخذوا طريقة لذلك واخلاقا تخلقوا بها ارتقت إلى التصوف²⁰

يلخص ابن الجوزي مراحل نشأة التصوف بقوله: (كانت النسبة في زمن الرسول "ص" إلى الإيمان والاسلام؛ فيقال: مسلم ومؤمن، ثم حدث اسم زاهد وعابد، ثم نشأ أقوام تعلقوا بالزهد والتعبد، فتخلوا عن الدنيا، وانقطعوا للعبادة، واتخذوا من ذلك طريقة تفردوا بها... ثم قال: وهذا الاسم ظهر للقوم قبل سنة مائتين، ولما أظهره أوائلهم تكلموا فيه وعبروا عن صفته بعبارات كثيرة)²¹.

وحسب ابن خلدون، بعد أن تحدث عن الزهد الذي كان عاما في الصحابة والسلف: (فلما نشأ الاقبال على الدنيا في القرن الثاني للهجرة وما بعده جنح الناس إلى مخالطة الدنيا اختص المقبولون على العبادة باسم الصوفية والمتصوفة)، ويتبع ابن تيمية هذا التحول (في أواخر عصر التابعين حدث ثلاثة أشياء: الرأي والكلام والتصوف فكان جمهور الرأي في الكوفة وكان جمهور الكلام والتصوف في

¹⁹ - إحسان الهي ظهير ، التصوف المنشأ والمصادر ، دار ترجمان السنة، باكستان، 1981، ص 94.

²⁰ - الرسالة القشيرية، مصدر سابق، ص 12.

²¹ - المرجع نفسه، 45

البصرة، فإنه بعد موت الحسن وابن سيرين ظهر عمرو بن عبيد وواصل بن عطاء وظهر أحمد بن علي الهجيمي وبنى دويرة للصوفية وهي أول ما بني في الاسلام وصار لهم من التعبد المحدث طريق يتمسكون به، مع تمسكهم بغالب التعبد المشروع وصار لهم حال من السماع والصوت وكان أهل المدينة أقرب من هؤلاء في القول والعمل، وأما الشاميون فكان غالبهم مجاهدين²² وقد نشأ عندهم التأليف حسب ابن خلدون قتداء بالفقهاء الذين ألفوا في الفقه وأصول الكلام والتفسير - فألفوا في الورع والمحاسبة كما فعله القشيري في الرسالة وذلك بعد أن كانت الطريقة عبادة فقط.

فمن أبرز صوفية الأوائل هذه المرحلة الجنيد (سيد الطائفة)²³، يقول: (ما أخذنا التصوف عن القليل والقال بل عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات) ومعروف الكرخي، وبشر الحافي، ومن آداب الصوفية عند أبي نصر السراج (إيثار الذل على العز واستحباب الشدة على الرخاء)، وأما أبو طالب المكي فيطلب من المرید ألا يزيد على رغيفين في اليوم والليله. ابن سيرين، ورابعة العدوية (ت 185هـ)، بشر الحافي، الحسن البصري (ت 110هـ) السري السقطي، الخراز،

سادسا: مصطلحات التصوف:

من بين مصطلحات التصوف الفناء والبقاء والصحو والمحو والتجريد والتفريد والجذب

الفناء: فيه حق وباطل

الفناء فيه حق وباطل، فالحق الفناء في حب الله والباطل هو عدم الشعور والعلم بحيث لا يفوق صاحبه بين نفسه وغيره وهي ألفاظ تحمل الحق والباطل.

إن عبارة الفناء قد تعني وجهها باطلا وهو ما يسمونه "الفناء عن وجود السوي" أي ليس موجودا إلا الله سبحانه وكل ما عداه ليس له وجود حقيقي، وهذه هي وحدة الوجود، وهذا هو فناء الملاحدة الذين لا يفرقون بين خالق ومخلوق.

والفناء يعني أن يغيب عن الناس ولا يشهد سوى الله بل يغيب حتى عن عبادة الله ويسميه المتصوفة "الفناء عن شهود السوي" كما يسمونه سكرة، كما يحيي ابي يزيد البسطامي "سبحاني ما

²² - محمد العبد، الصوفية نشأتها وتاريخها، هندواي، لنشر المعرفة والثقافة، ص 19
²³ - هو أبو القاسم الخراز أصله من نهاوند ومولده ببغداد من أقواله الطريق إلى الله مسدود على الخلائق إلا على مقتفين آثار الرسول ص توفي 298هـ، ينظر صفة الصفة 416/2

أعظم شأنه" ويعتذر البعض عنه بأنه كان في حالة سقوط الشعور والتمييز ، وتحدث أبو الحسين النوري (ت 295هـ) عن فناء صفات العارف كان ذلك تمهيدا لفناء ذات العارف وهو الاتحاد مع الله.

والنوع الثالث من الفناء هو مايسمونه "الفناء عن إرادة السوي" وهذا صحيح فهو لا يجب إلا في الله ولا يوالي إلا فيه ولا يبغض إلا فيه ، وقالوا في السكر: هو أن يغيب عن تمييز الأشياء و "الصحو": رجوع العارف إلى الاحساس بعد غيبته وزوال احساسه. واستحدثوا كلمة "العشق" وهذا لا يوصف به محبة العبد لربه

تميزت المرحلة بما يسمونه "المقامات" كمقام التوكل والرضا الذي له صلة بموضوع القضاء والقدر

التوكل: عندهم من مقامات العامة وهو الأخذ بالأسباب وهم لا يأخذون بالأسباب بل مستسلمون للأقدار، قال الهروي (التوكل في طريقة الخاصة عمى عن التوحيد ورجوع إلى الأسباب) ورد ابن القيم بقوله: (بل التوكل حقيقة التوحيد، ولا يتم التوحيد إلا به وإنه من مقامات الرسل وهم خاصة الخاصة... فكيف يكون من مقامات العامة) وقال أبو سعيد الخراز (كنت في البادية فنالني جوع شديد فطالبتني نفسي بأن أسأل الله طعاما، فقلت: لي هذا من فعل المتوكلين) وقال أحمد بن أبي الحواري (سمعت أبا سليمان الداراني يقول: لو توكلنا على الله ما بنينا الحيطان ولا جعلنا لباب الدار غلقا مخافة اللصوص)²⁴، فترك الأسباب ضعف في العقل والاعتماد على الأسباب وحدها شرك، وظن الصوفية أن من أعلى المقامات ترك الأسباب وانسحب هذا الفهم الخاطئ على الدعاء فقالوا: (علمه بحالي يغني عن سؤالي)

الغيبة: هو أن يغيب الانسان عن فكره وذهنه ووجوده، فظايره مع الناس وباطنه غائب عنهم، وهذا عندهم مقام سني يحوزه كبار أوليائهم ومشايخهم. قال الهجويري في كتابه "كشف المحجوب" (المراد من الغيبة غيبة القلب عما دون الحق، إلى حد أن يغيب عن نفسه حتى أنه بغيته عن نفسه لا يرى نفسه)²⁵

²⁴- ابن الجوزي، تلبيس إبليس، ص247.

²⁵- إحسان إلهي ظهير، دراسات في التصوف، دار الإمام المجدد للنشر والتوزيع الطبعة: الأولى، 1426 هـ - 2005 م ، ص300

السكر: يقولون هو (أن يغيب الانسان عن تمييز الأشياء) يقول شهاب الدين السهروردي (السكر سانح قدسي للنفس يؤدي إلى إبطال النظام عن الحركات)²⁶ ويقول الطوسي أن السكر معناه قريب من معنى الغيبة غير أن السكر أقوى من الغيبة²⁷ الحضور والصحو: فهما (رجوع الصوفي إلى الاحساس بعد غيبة عقله وإحساسه)²⁸

الوجد²⁹: هو ما صادف القلب من فرع أو غم أو رؤية معنى من أحوال الآخرة أو كشف حالة بين العبد والله عز وجل

²⁶ - نفس المرجع، 303

²⁷ - نفسه، ص 303

²⁸ - نفسه 304

²⁹ - أبو بكر الكلابادي، التعرف لمذهب اهل التصوف، دار الكتب العلمية - بيروت (ب ت) ص 112

مدارس التصوف في المشرق الاسلامي

الطرق الصوفية نشأت خلال القرن السادس الهجري (12م) وما بعده، إلا أنها في أصولها ترجع إلى أولئك أعلام التصوف الذين برزوا خلال القرنين الثالث والرابع الهجريين

أولاً: مدرسة البصرة

استطاعت البصرة أن تؤسس مدرسة صوفية على اكتاف أقطاب الفكر الصوفي الأوائل من البصرة التي عرفت بكثرة الزهد والمبالغة في العبادة، قال ابن تيمية: (كان صوفية البصرة يببالغون في الزهد والعبادات والخوف من الله وكانوا يمتازون بهذا عن بقية المدن الأخرى، وصار هذا مضرباً للمثل بقولهم: الفقه كوفي والزهد بصري)

تعتبر مدرسة البصرة¹ ومصدرها التابعي الحسن البصري (21هـ-110هـ) من أوائل المدارس الصوفية ويغلب عليه الخوف، حتى كأن النار لم تخلق إلا له وحده، ويذكر ابن الجوزي أنه بكى (فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: أخاف أن يطرحني غداً في النار ولا يبالي)²، كانت في أول أمرها تعتمد على الزهد والتجريد والبعد عن الدنيا بالتركيز الروحية، قال صاحب كتاب "حلية الأولياء" (انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين؛ فمنهم الحسن بن أبي الحسن؛ فما رأينا أحد من الناس كان أطول حزناً منه)³ والمتتبع لمعظم سلاسل السند في الطرق الصوفية تتصل بالحسن البصري وهذا يدل على ميزة هذه المدرسة البصرية ومؤسسها.

ومن أساتذة هذه المدرسة، أيوب السخيتاني ويلقب "أبا بكر"، وكان ثقة ثبتاً في الحديث، كثير العلم، ويذكر ابن الجوزي، أن مالك بن أنس قال: (كنا ندخل على أيوب السخيتاني فإذا ذكرنا له حديث رسول الله بكى حتى نرحمه). ويشير أيضاً ابن الجوزي أن أيوب السخيتاني كان يقول: (لا ينبل الرجل حتى تكون فيه خصلتان: العفة عما في أيدي الناس، والتجاوز عما يكون منهم)⁴

كان مالك بن دينار (علم من العلماء الأبرار، معدود من ثقات التابعين ومن أعيان كتبة المصاحف) (كان عالماً زاهداً كثير الورع قنوعاً لا يأكل إلا من كسبه وكان يكتب المصاحف بالأجرة)

¹ - يسميها عبد الحكيم عبد الغني قاسم صاحب كتاب المذاهب الصوفية ومدارسها، بمدرسة حسن البصري، مكتبة مدبولي، الطبعة الثانية 1999، ص 147

² - ابن الجوزي صفة الصوفوة، المحقق: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، مصر الطبعة: 1421هـ/2000م، 138/2

³ - حلية الأولياء، مصدر سابق 34/2.

⁴ - مجموعة من المؤلفين، موسوعة الاخلاق الاسلامية، موقع المكتبة الشاملة، 407/1

ومن أقواله (لم يبق من روح الدنيا إلا ثلاثة: لقاء الإخوان والتهجد بالقرآن وبيت خال يذكر الله فيه) ويؤثر عنه أنه قال: (إذا رأيت قساوة في قلبك وضعفا في بدنك، وحرمانا في رزقك، فاعلم أنك قد تكلمت فيما لا يعينك)⁵

أما رابعة، المعروفة بالحب الالهي، يبدو أنّها لم تلبث أن تغيّرت في حبّها للذات الإلهية في غير رهبة أو رغبة، فهي لا تعبده خوفا من النار أو طمعا في الجنة، وإنما تعبده استغراقا في الحب لذاته، ذكر العطار أنّ رابعة كانت تقول: "إلهي إن كنت عبدتك خوف النار فاحرقني بالنار، أو طمعا في الجنة فحرّمها علي، وإن كنت لا أعبدك إلا من أجلك، فلا تحرمني من مشاهدة وجهك.

مميزات المدرسة البصرية:

- قام الزهد في البصرة على الحب الإلهي وتلازمه مع الخوف
- تعتمد في مجملها على طابع الزهد والتجريد الذي انتهجه الحسن البصري، كشرط اساسي للمنتمي لهذه المدرسة
- اتخذوا طريقة، جمعوا فيها بين الزهد والتعمق والتشدد، والتفتيش عن الوسوس والخطرات، مما لم يكن على عهد السلف الأول
- ظهور مجالس الذكر مثل التي كان يعقدها الحسن البصري كما ذكر ابو طالب المكي (كانت له مجالس يخلو فيها مع أصحابه وكان منهم ملك بن دينار وايوب السخيتاني)
- دعا روادها إلى أمور لم تكن عند الزهاد السابقين، كترك الزواج مثلاً، ومن هؤلاء: مالك بن دينار الذي امتنع عن الزواج، وعن أكل اللحم إلا من أضحيته، وكثيراً ما كان يقرأ في كتب السابقين كالتوراة والإنجيل.
- استحدثت قصة الحب الإلهي والعشق الإلهي. رابعة العدوية
- اتخذ دارا لالتقاء الصوفية على الذكر والسماع مثل ما استحدثه تلميذ الحسن البصري عبد الواحد بن زيد
- صار لهم حال من السماع والصوت.

⁵ - عمر عبدالله عبدالعزيز، التصوف العراقي ومدارسه وأثره على المشرق، مجلة الدراسات التربوية والعلمية، 2020، المجلد 2، العدد 16، الصفحات 452-472

ثانيا: مدرسة بغداد:

نشأت هذه المدرسة على القرآن والسنة وبث الفضائل وتجريد القلب لعبادة الله والرقى إلى معارج الخير وتربية الروح وشفاء السريرة، وقد ورثت بغداد تصوف من أهل البصرة الذي ظهر فيها الزهد والمعتزلة الكلامية، كما ورثت زهد أهل المدينة، وبذلك جمعت بين التصوف البصري الأعزالي والتصوف المدني القائم على الحديث، وبذلك فاقت مدرسة التصوف المصري الشامي ومدرسة التصوف في نيسابور، وفيها تحول الزهد إلى تصوف وولد فيها علما جديدا في مقابلة علم الفقه، حتى أصبح يقال أن بغداديين هم من استحدث مصطلح التصوف. تقوم هذه المدرسة على التوحيد بمعناه الكلامي والصوفي

استطاعت هذه المدرسة التأثير في المدارس الصوفية الأخرى مثل مدرسة مصر والشام ومقدمها ذنون المصري، يعتبر معروف الكرخي والحارث المحاسبي مؤسسا هذه المدرسة الصوفية، حيث اخذ منه الجنيد وابو حمزة البغدادي والسري السقطي، تعرضت المدرسة لكثير النقد لا سيما من اتباع الإمام أحمد بن حنبل، وإن كان هذا الأخير على علاقة طيبة مع الحارث المحاسبي

من أعلام المدرسة: معروف الكرخي (ت 200هـ) يذكر ابن الجوزي أن عائلته نصرانية، أسلماه أبويه إلى مؤدب، كان يعلم الصبيان الأب والإبن والروح، فكان يصبح معروف: أحد أحد، فيضربه المعلم ضربا شديدا، فيهرب، فكان والداه يقولان: ليته رجع، وقد أسلما والديه بسببه⁶.

وعن إبراهيم الأطرش قال: (كان معروف الكرخي قاعدا دجلة ببغداد إذ مر بنا أحداث في زورق يضربون الملاحى ويشربون فقال له أصحابه اما ترى ان هؤلاء في هذا الماء يعصون الله ادع عليهم، فرفع يده إلى السماء وقال الهى وسيدى أسألك ان تفرحهم في الجنة كما فرحتهم في الدنيا فقال له أصحابه إنما قلنا لك ادع الله عليهم لم نقل لك ادع الله لهم فقال إذا فرحهم في الآخرة تاب عليهم في الدنيا ولم يضرهم بشيء)⁷ ومما كان يقول (كلام العبد فيما لايعنيه خذلان من الله تعالى) ومن تلامذته السري السقطي(ت 256هـ)، أبو القاسم الجنيد(297هـ). الحارث بن اسد المحاسبي (ت 243هـ). بشر بن الحارث الحافي. شهيد العشق الالهى الحسين بن منصور الحلاج. الشبلي

⁶- صفوة الصفوة، مصدر سابق، 2/ 318-319.

⁷- صفوة الصفوة، مصدر سابق، 1/ 171.

ثالثاً: مدرسة الكوفة:

اما مدرسة الكوفة؛ فمن أساتذتها سفيان الثوري الذي كان يقول: (إن أقبح الرغبة أن تطلب الدنيا بعمل الآخرة) وقوله: (الزهد في الدنيا هو الزهد في الناس، وأول الزهد في الناس زهدك في نفسك)⁸، انتقا إلى البصرة سنة 161هـ، وداود الطائي قال عنه سفيان بن عيينة: كان داود ممن فقه ثم علم ثم عمل، وكان يجالس أبا حنيفة⁹، ومن أبرز تلامذة المدرسة عبد الكريم بن هوازن القشيري الإمام الزاهد.

من مميزات الحث على طلب علم الفقه وعلم الحلال والحرام وعلم الكلام فضلاً على الزهد، هذه المدرسة تعد بحق مدرسة الامام الطائي وكانت بمثابة حلقة وصل بين المدرسة البصرية والمدرسة البغدادية، من حيث أنها اعتمدت كافة العلوم الشرعية وحثت على الزهد والتقوى من ابرز تلامذة المدرسة ابو القاسم القشيري الخراساني النيسابوري الشافعي الصوفي المفسر صاحب الرسالة

- اتسم زهد الكوفيين بالاعتدال لكنهم اشتدوا في المجاهدة
- تميزوا بالعلم والاستقامة لأن اغلب زهادها علماء، فقد قيل عن علقمة كان أشبه الناس هدياً وسمتاً بابن مسعود

سعيد بن جبير. الربيع بن خيثم

رابعاً: مدرسة خراسان

- تمثل زهد خراسان في الملامة والسكر والفتوة وهي مجموعة من التقاليد الإنسانية النابعة من الإيثار والرجولة
- مدرسة التصوف الفارسي الغائب عن الحس ممهداً لها بمقدمة عن الفتوة والملامية في بلاد فارس ، مبتدء بأبي يزيد البسطامي ، والحسين بن منصور الحلاج والسُّهْرَوْرْدِي المقتول إبراهيم بن ادهم. الفضيل بن عياض.

⁸- الحلية، مصدر سابق، 3/ 179.

⁹- نفسه 336/7.

خامسا: مدرسة نيسابور الملامتية

تعتبر مدينة بلخ اقدم مركز للتصوف في خراسان ثم انتقل إلى نيسابور في منتصف القرن 3هـ، ويأتي أبو حفص النيسابوري على رأس هذه المدرسة، وتعد الملامتية أهم مدرسة في مدينة نيسابور، ومن الأسس التي قامت عليها المدرسة حسب ابو العلا عفيفي: الملامة والفتوة¹⁰

- الملامية: كبح النفس واتهامها وتأنيبها على ما فرط منها، ورؤية التقصير فيما يصدر عنها من أعمال الطاعة، وحسب صاحب عوارف المعارف الملامتية: (أن الملامتي تشربت عروقه طعم الإخلاص وحقق بالصدق، فلا يجب أن يطلع أحد على حاله وأعماله ولا يتم هذا الإخلاص إلا إذا أصبح يستوي عنده المدح والذم له من الناس، وألا يفكر في اقتضاء ثواب العمل في الآخرة)¹¹، ملامية يفعلون ما يحببه الله ورسوله ولا يخافون لومة لائم في ذلك، وهؤلاء هم أهل الملام المحمود. وملامية يفعلون ما يبغضه الله ورسوله ويصرون على الملام في ذلك والصبر عليه، وهؤلاء هم أهل الملام المذموم. قال: "وبهذا يحصل الفرق بين الملامية الذين يفعلون ما يحببه الله ورسوله ولا يخافون لومة لائم في ذلك، وبين الملامية الذين يفعلون ما يبغضه الله ورسوله ويصبرون على الملام في ذلك"¹².

- الفتوة: اسم أطلق على مجموعة من الفضائل أخصها الكرم والسخاء والمروءة والشجاعة فلما دخلت إلى أوساط الصوفية اكتسبت معنى الايثار والتضحية، وكف الأذى وترك الشكوى، واسقاط الجاه ومحاربة النفس، ومن أشهر رجالها: أبو حفص الحداد، وحمدون القصار (ت 271هـ) مدرسة مصر والشام :

ظهرت في القرن 3هـ وهي امتدادا لمدارس المشرق في التصوف، ومن روادها، ذنون المصري(ت 245هـ). أبو سليمان الداراني. الليث بن سعد. سليم بن عنتر التجيبي. وأحمد بن أبي الجوارى (230هـ) وهو الرجل الثاني في هذه المدرسة وهو من أصل بغدادي

وتعتبر مدرسة مصر والشام آخر مدرسة أمدت بلاد المغرب بنظريات التصوف، حيث يعد ذنون المصري أول من تكلم في الأحوال والمقامات وهو شيخ هذه الطائفة في شقها المصري، بينما مقدمها الشام في أبي سليمان الداراني (ت 215هـ)

¹⁰ - مجموعة فتاوى شيخ الاسلام، مصدر سابق، 16/1

¹¹ - عوارف المعارف، مصدر سابق، ص 54

¹² - المصدر السابق/16

أغلب كلامهم في الدنيا واحتقارها

أمام أقوال زهاد مدرسة الشام وزهدهم، كالتصوف الكوفي في الاعتدال القائم على العلم والفقہ، وجمعت لكافة مفاهيم التصوف

في مصر أخذ الزهد طابع الخوف والبكاء والرقة الشديدة والانقطاع إلى العبادة لصدوره عن " روح إسلامية بحتة ربطته بفهم الإسلام على أنه زهدي المضمون " ، فضلاً عن ظهور الفتیان كما ظهروا في خراسان/

- زهد الشام اشتهر بالجوع وضبط النفس عن الشبع والشره.

احتقرت الدنيا وبصفاء القلب والصدق ومحبة الله تعالى

من الكوفة انتشر إلى ما وراءها سيما إيران حيث كانت المزدكية منتشرة بها قبل الاسلام¹³

- تميزت مدرسة مصر عن غيرها بأن الزهد كان عن ثراء¹⁴، وهذا نابع من كون مصر

عرفت بالوفرة الواسعة مثل عمرو بن العاص والمقريزي وابن تغري الأتاكى والمسعودى.

- الأحاسيس والمشاعر : فلقد كان أهل مصر محبون للأسرار ميالون إلى استكناه الخفايا

والتحدث عن المستترات ، وقد رقت تلك الحاسة حتى صاروا يجربون بالأشياء قبل وقوعها

وبما يكون ، ويندرون بالأمر المستقبلة.

سادسا: المدرسة القادرية

تنسب إلى مؤسسها الشيخ أبو محمد عبد بن ابي صالح عبد الله الحنبلي، وأمه أم الخير فاطمة

بنت الشيخ عبد الله الصومعي وهو آخر ابنائه، حملت به وقد ناهزت الستين سنة ولد في مدينة

جيلان بالعراق جنوب بغداد (40 كلم) عام 471هـ/ 1078م، وقال الذهبي: (الشيخ عبد القادر

الجيلاني الزاهد شيخ العصر وقدوة العارفين ولد بجيلان سنة 470هـ - 1077م). يقول البعض أنه

من أولاد الحسن بن علي بن أبي طالب (ض) وصاحب "فوات الوفيات" ينهي نسبه إلى الحسين بن

علي ، وقد أنكر قوم انتسابه إلى الأشراف.

¹³ - <https://www.academia.edu/38740519> بتاريخ 16 يناير 2022، الساعة 11:15

¹⁴ - https://azhargraduates.org/ar/research_book10.aspx بتاريخ 20 يناير 2022، الساعة 14

ويذكر الصوفيه أنه دخل بغداد وعمره ثمانية عشرة عاما، ويشير صاحب كتاب "سير أعلام النبلاء" أنه دخل بغداد عام 488هـ¹⁵ وقيل 478هـ¹⁶، وذلك زمن الخليفة العباسي المستظهر (487-512هـ)، وكان شيخه في المذهب الحنبلي ابن عقيل الحنبلي، واشتغل بالوعظ في بغداد عام 521هـ. وقد ورد في الطبقات الكبرى للشعراني أنه كان يقول عن حاله أول ما دخل بغداد: (كان لباسي جبة صوف وعلى رأسي خرقة وكنت أمشي حافيا على الشوك فأقتتات بخرنوب الشوك وقمامة البقل وورق الخس من شاطئ النهر وكنت أظاهر بالخرس والجنون)¹⁷

من شيوخه ببغداد الباقلائي جعفر بن أحمد السراج أحمد بن المظفر، ومن أشهرهم أبو سعيد المبارك بن علي المخرمي ت 528 ولا زمه حتى وفاته وكان هذا الأخير يدرس الفقه الحنبلي وعندما تقدم به السن أصبح يقدم الشيخ عبد القادر بإلقاء الدرس ابتداء 521هـ حتى وفاة شيخه .

1- أسس المدرسة الصوفية القادرية:

وهي سبعة: المجاهدة والتوكل وحسن الخلق والشكر والصبر والرضا والصدق، تشمل التربية والسلوك وتلك هي حقيقة التصوف عنده

المجاهدة والأصل فيها (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا)

التوكل (ومن يتوكل على الله فهو حسبه). حسن الخلق (وإنك العلى خلق عظيم) الشكر (لإن شكرتم لأزيدنكم) الصبر (يا أيها الذين اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون) الرضا (رضوا عنه) الصدق (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين)

وكان ينهى الناس عن اعتقاد العصمة في شيوخهم (وإذا ظهر له من الشيخ ما يكره في الشرع استخبر عن ذلك بضرب المثل والإشارة، ولا يعتقد فيه العصمة)¹⁸

2- مؤلفاته:

¹⁵ - أضواء على الطرق الصوفية في القارة الافريقية، مرجع سابق، ص 35
¹⁶ - أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، مدخل إلى التصوف، دار الثقافى للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، القاهرة ص 236
¹⁷ الشيخ عبد القادر الجيلاني، ص 11
¹⁸ - عبد الباقي مفتاح، أضواء على الشيخ عبد القادر الجيلاني وانتشار طريقته، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 135

الغنية لطالبي طريق الحق، في الأخلاق والتصوف والآداب الاسلامية / الفتح الرباني والفيض الرحماني وهو مجالس في الوعظ والارشاد/ فتوح الغيب 78 مقالة في العقائد والتصوف والارشاد/ كتاب الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية / حزب بشائر الخيرات في الصلاة على صاحب الآيات البيئات ويليه ورد الجلالة للجيلاني / جلال الخاطر من كلام الشيخ عبد القادر جمع فيه ما قاله في مجالس وعظه/ حزب الرجاء الرسالة الغوثية وقد عدد عبد الرزاق الكيلاني في كتابه الشيخ عبد القادر الجيلاني الإمام الزاهد القدوة، 21 مؤلفا منها رسائل ومقالات مجموعة.

سابعاً: المدرسة الرفاعية

1-نسبه:

مؤسسها أبو العباس أحمد بن علي الرفاعي (512هـ - 578هـ) - رفاة قبيلة من العرب- ، (ولد قرب واصل بالبصرة ودفن في قرية أم عبيدة، قرب مدينة واسط بالعراق) وهو معاصراً للشيخ عبد القادر الجيلاني، ويرفع نسبه إلى الحسين بن علي (ض)

ينقل عن العلامة شمس الدين ناصر الدمشقي أنه قال: (لم أعلم للرفاعي نسباً صحيحاً إلى علي بن أبي طالب، ولا إلى أحد من ذريته الأطايب، وإنما الذي وصل إلينا وساقه الحفاظ وصح لدينا أنه: أبو العباس أحمد بن الشيخ أبي الحسن علي بن يحيى بن حازم بن علي بن رفاة المغربي الأصل البطائحي الرفاعي، نسبه إلى جده الأعلى رفاة، قدم والده أبو الحسن رحمة الله عليه من بلاد المغرب فسكن البطائح)¹⁹

وكذلك الأمر بالنسبة لعامة المؤرخين كالذهبي وابن كثير وابن العماد وابن الأثير والسبكي²⁰ وابن خلكان، فإنهم ترجموا للرفاعي ولم يذكروا له نسبة إلى أهل البيت.

2-ثناء العلماء عليه:

قد ذكر الإمام الرفاعي ما نصه " حدثني الشيخ الإمام أبو شجاع الشافعي فيما رواه قائلاً : كان السيد أحمد الرفاعي رحمه الله علماً شامخاً ، وجبلاً راسخاً ، وعالمًا جليلاً ، محدثاً فقيهاً ، مفسراً ذات

¹⁹ - الفتح المبين ص 102 المطبعة الخيرية 1306 القاهرة/ نقلًا عن مجموعة من المؤلفين، الفرق المنتسبة للإسلام، إشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف، موقع الدرر السنية على الإنترنت 108/8 dorar.net

²⁰ - تاج الدين السبكي، طبقات الشافعية الكبرى،تح: محمود محمد الطناحي، عبد الفتاح محمد الحلو النار، هجر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الثانية، 1413هـ، 23/6

روايات عاليات ، وإجازات رفيعات ، قارئاً مجوداً ، حافظاً مجيداً. من أقواله: «إذا استعنتم بعباد الله وأوليائه؛ فلا تشهدوا المعونة والإغاثة منهم، فإن ذلك شرك»²¹ فهذا النص يفيد بوضوح أن الاستغاثة بالأولياء يعدها الرفاعي من الشرك المنافي للتوحيد، وكان يرى العكوف على قبور المشايخ والتبرك بها من الوثنية، الذهبي قال في كتاب (العبر): «وكان إليه المنتهى في التواضع والقناعة ولين الكلمة والذل والانكسار والإزراء على نفسه وسلامة الباطن»²²

3- أسس الطريقة الرفاعية:

قال أقمط طريقتي على خمس وخمسين خصلة يؤيدها خمس وخمسين آية لا بد للعبد منها:

_ معرفة الله تعالى عز وجل لقوله (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون)

_ الإقرار بالألوهية والربوبية لقوله تعالى (وإلهكم إله واحد) (قل هو الله احد)

- الوفاء بعهد الله لقوله تعالى (أوفوا بعهدي أوف بعهدكم وإياي فارهبون)

_ الإخلاص بالعبودية لقوله تعالى(واعبدوا الله مخلصين له الدين) فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً)

- ا_ لرضا بقسمة الله لقوله تعالى (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا)

- الحب في الله والبغض في الله لقوله تعالى (لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم)

- معرفة النفس ومحاربتها لقوله تعالى (إن النفس لأمارة بالسوء)

ويذكر الذهبي في مصنفه "العبر" أن بعض أصحابه وقد كثر فيهم الزغل، وتجددت لهم أحوال شيطانية منذ أخذت التتار العراق: من دخول النيران وركوب السباع واللعب بالحيات، وهذا: (ما عرفه الشيخ ولا صلحاء أصحابه، فنعوذ بالله من الشيطان)²³

مؤلفاته:

حالة أهل الحقيقة مع الله . الصراط المستقيم . كتاب الحكم شرح التنبيه (فقه شافعي)

البرهان المؤيد، . معاني بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . تفسير سورة القدر . البهجة .

²¹ - أحمد الرفاعي، البرهان المؤيد، دار الكتاب النفيس، بيروت، 1408، ص 79

²² - الذهبي، العبر في أخبار من ذهب، تح: أبو هاجر محمد السعيد بن بسبيوني زغلول، دار الكتب العلمية، 75/3.

²³ - الذهبي، نفس المصدر، 75/3.

النظام الخاص لأهل الاختصاص . المجالس الأحمدية . الطريق إلى الله

ثامنا: المدرسة الصوفية الشاذلية :

طريقة صوفية تنسب إلى أبي الحسن الشاذلي، يؤمن أصحابها بجملة الأفكار والمعتقدات الصوفية، وإن كانت تختلف عنها في سلوك المريد وطريقة تربيته بالإضافة إلى اشتهاهم بالذكر المفرد "الله" أو مضمراً "هو" .

سيد الطريقة أبو الحسن الشاذلي، اختلف في نسبه، فمريدوه، وأتباعه ينسبونه إلى الأشراف ويصلون بنسبه إلى الحسن بن علي بن أبي طالب . رضي الله عنهما . كعادة أهل كل طريقة صوفية، وبعضهم ينسبه إلى الحسين، وبعضهم إلى غيره²⁴ ولد بقرية شاذلة (593هـ).

انتقل في صغره إلى مدينة تونس، فبدأ ينتقل من مدينة إلى مدينة وبلدة إلى بلدة حتى حجّ ثم دخل العراق، ثم عاد والتقى بأبي محمد عبدالسلام بن مشيش (559/622هـ)، الذي كان له أكبر الأثر في حياته العلمية والصوفية. - ثم رحل إلى تونس، وإلى جبل زغوان، حيث اعتكف للعبادة، ثم رحل بعد ذلك إلى الإسكندرية، حيث تزوج وأنجب أولاده شهاب الدين أحمد وأبو الحسن علي، وأبو عبد الله محمد وابنته زينب، وفي الإسكندرية أصبح له أتباع ومريدون، وانتشرت طريقته في مصر بعد ذلك، وانتشر صيته على أنه من أقطاب الصوفية

أسس الطريقة

بني الشاذلي طريقته على المواظبة على الذكر والصلاة على النبي، ولم يشترط الشيخ إذ بوسع السالك أن يصل إلى القبطانية بلا وساطة كما أنه لم يشترط اتخاذ رباط أو زاوية. وعرفت تغييرا على يد تلامذته، ولخص ابن الخطيب مبادئ الشاذلية في عبارة "لا إله إلا الله" وجعل السالكين تسعة أصناف تبدأ من أفراد الكلمة باللسان وتنتهي بمرتبة الفناء أي التوحيد وإسقاط التدبير مع الحق، وقد أحصى جورج دراك G. Drague تسع عشرة طريقة متفرعة عن الشاذلية في الغرب العربي وأشهرها الطريقة الجزولية والطريقة الزروقية²⁴

مصادر دراسة التصوف في الغرب الاسلامي

1- كتب التاريخ العام: تتضمن من الصوفيات أكثر مما تحتويه مصنفات الشرق؛ لأن الدور الذي قام به المتصوفة في الغرب الاسلامي، في الميدان السياسي لا يكاد يضاهاى بنظرائهم من المشرق.

المعجب في تلخيص أخبار المغرب للمراكشي: مثلاً قد تعرض لأحمد ابن قسي المتصوف الذي سيق إلى عبد المومن وعفا عنه، ولكن قتله بعد ذلك أصحابه الذين جاءوا معه من الأندلس، وأشار أن يعقوب المنصور أظهر بعد عام 583هـ، زهداً وتقشفاً وخشونة ملبس ومأكل وانتشر في أيامه للصالحين والمتبتلين، ولم يزل يستدعي الصالحين من البلاد ويكتب ويسأل الدعاء ويصل من يقبل صلته منهم بالصلاة الجزيلة.

وذكر أيضاً أن (أبا يوسف كتب قبل خروجه -أي إلى الغزوة الثانية بالأندلس عام 592 هـ- إلى جميع البلاد بالبحث عن الصالحين والمنتمين إلى الخير وحملهم إليه. قال: فاجتمعت له منهم جماعة كبيرة كان يجعلهم كلما سار بين يديه)¹

الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية لابن أبي الزرع: يتحدث عن عبد الحق المريني، فيصفه بأنه كانت له بركة معروفة ودعاء مستجاب وأنه كان يسرد الصوم وكان كثير الأوراد والأذكار. وكان أبو سعيد معظماً للعلماء موقراً للصالحين يتواضع بين أيديهم²، وأعطتنا صورة للحركة المهدوية التي لها كبير اتصال بالفكرة الصوفية، مثل العبيدي الذي كان (رجلاً صالحاً متخشعاً كثير الورع والعبادة)³. اتبعه كثير من قبائل المغرب حوالي 600هـ.

الأنيس المطرب لابن أبي الزرع:⁴ يتحدث عن تبتل عبد الله بن ياسين مع أمير سنهاجة يحيى بن إبراهيم في الرباط الذي بناه عند مصب نهر السنغال، ويصف الأمير يحيى بن عمر

¹- عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، المحقق: الدكتور صلاح الدين الهواري الناشر: المكتبة العصرية، صيدا-بيروت الطبعة: الأولى، 1426هـ - 2006م ص 235

²-الذخيرة السنية ، ص ص 29 37

³- ص ص 38

⁴- علي بن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، (ب ت) (ب. ط)

بأنه كان من أهل الورع والزهد؛ كما وصف يوسف بن تاشفين، بأنه كان زاهداً متورعاً صالحاً متقشفاً لباسه الصوف، لم يلبس قط غيره، كما كان ينقل ابن أبي الزرع عن صاحب "التشوف إلى رجال التصوف".

جنى زهرة الآس للجزنائي: يقر بوجود حركة صوفية قرب مدينة فاس في القرن الثاني، وذكر أن حلية الأولياء كانت تدرس بالقرويين إلى جانب التفسير. اللوحة البدرية لابن الخطيب: لدى حديثه عن أبي يوسف المريني، أنه كان (أشبه بالشيوخ منه بالملوك)⁵

2- كتب التراجم والمناقب

ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي للقاضي عياض: جمع "رقائق الوعاظ ومناهج العلماء والزهاد، إلا أن تركيز المؤلف كان عن تراجم طبقات المالكية، ولعل ما يفيدنا به هذا الكتاب من الوجهة الصوفية هو الحالة التي اتسم بها جل من ترجم لهم من زهد وتبتل كادت تكون صفة عامة لمجموع العلماء. مثل أبو المطرف عبد الرحمن الأنصاري⁶ وأبو عبد الله بن البنا⁷ وغيرهما

التشوف إلى رجال التصوف ليعقوب التادلي "ابن الزيات": ترجم في هذا الكتاب (لمن كان بحضرة مراکش من الصالحين ومن قدمها من أكابر الفضلاء)⁸، وقد ضم هذا المؤلف بين دفتيه أخبار ما يربو عن سبعة وسبعين ومائتين من أبرز رجالات العلم والولاية والكرامات بالمغرب، وأكثرهم من صلحاء الجنوب، وذلك إلى حدود سنة (517هـ/1123م)، كما احتوى هذا المؤلف نصاً آخر للتادلي، خصصه لأخبار أبي العباس السبتي.

اعتبر المؤلف أن كل من ترجم لهم من رجال التصوف (وإن كان مشتملاً كما يقول في المقدمة على أصناف من أفاضل العلماء والفقهاء) واقتصر على إيراد أخبار الرجال وجمع تراجم "جملة من الجهوليين والجهولات"، ولم يتعرض للأحياء كعاصره أبي محمد صالح.

مادة هذا الكتاب تضعنا أمام رصيد تاريخي يفسر لنا الاهتمام المتزايد بالكتاب من قبل الباحثين في تاريخ المغرب خاصة، لا من زاوية التاريخ الديني فحسب، على حد تعبير "أدولف فور"،

⁵- لسان الدين بن الخطيب، اللوحة البدرية في الدولة الناصرية، تح: محمد زينهم، الدار الثقافية للنشر، ص 60.

⁶- أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك، مطبعة فضالة - العجديدة، المغرب الطبعة: الأولى

290/7

⁷- نفسه المصدر، 271/7

⁸- ابن الزيات، التشوف إلى معرفة رجال التصوف، ص 33 34

بل حتى من منظور التاريخ الكلي، اجتماعيا وثقافيا. وإن لم يكن القصد من ورائها التأريخ لعلم التصوف، حيث إن المؤلف قد أشار في مقدمة كتابه إلى أنه قد جرد الكتاب من علوم التصوف واقتصر على إيراد أخبار الرجال؛ فإنها مع ذلك تكشف بطريقة أو بأخرى جانبا مهما من تاريخ التصوف بالمغرب⁹.

المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد¹⁰ مُجَّد بن عبد الكريم التميمي. المقصد الشريف والمنزع اللطيف في ذكر صلحاء الريف لعبد الحق البادسي (في القرن الثامن) وكلا الكتابين يؤرخان للزهاد من الريف.

العذب الأحلى في صلحاء فاس ومكناسة وسلا لمحمد الحضرمي الذي صنفه في القرن الثامن، يعطينا صورة عن مدى استقامة الصوفية في القرن الثامن، وعن الروح التي كانوا متشبعين بها. فقد ترجم للشيخ ابن عاشر دفين سلا؛ كما ترجم لفئة من تلاميذه كانوا نموذجاً للمثالية الكاملة لا يعبؤون بالكرامات والخوارق ولا يتطلعون إلى الأغراض. وقد رتبهم في ثلاث طبقات رئيسية يمثلها كبار المتصوفة المسلمين¹¹.

درة الحجال في غرة أسماء الرجال، وجذوة الاقتباس. لابن القاضي، يشتمل المصدرين معلومات شتى عن صوفية بلاد المغرب وأحوالهم ومصنفاتهم وأسانيدهم. فقد حدثنا عن أحمد الملياني، وعن مُجَّد بن علي الجزولي الذي تولى القضاء والخطابة بحضرة أبي سعيد المريني وكان له التقدم في أصول الفقه، وتحدث عن رضوان الجنوي، فوصفه بأنه آخر المحدثين الصالحين¹². ويصنف من كبار العلماء الروحيين. وقد خصه أحمد المرابي بمؤلف سماه "تحفة الإخوان ومواهب الامتتان في مناقب سيدي رضوان". وهناك مصنف آخر يضاهيه في العنوان "درر الحجال في مناقب سبعة رجال"

صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر للإفراني، يعد كذلك مصدراً مهما في الموضوع، يعطينا صورة عن المشاكل والاحتكاكات التي كان يثيرها في المغرب وجود الطرقية واستفحالها ومعارضة الفقهاء لها. وقد تحدث عن مشروعية ما يقرب للأضرحة من ذبائح والتبرك بأثريتها وبناء المساجد على قبور الصالحين وهل يخرج من المزارات اللاجئون إليها من المجرمين، وما إلى

⁹ - التشوف إلى رجال التصوف - <https://www.habous.gov.ma/2012-01-26-16-13-16/1318>

¹⁰ - مجَّد بن عبد الكريم التميمي، المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، تح: محمد الشريف، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بتطوان، الطبعة الأولى، الرباط، 2002

¹¹ - رشيد اليملولي، الكتابة المناقبية في الغرب الاسلامي دراسة في بعض الملامح، دوبرة كان التاريخية، العدد 52، يونيو 2021. ص ص 255 238.

¹² - ابن القاضي، درة الحجال في غرة أسماء الرجال، تح: أبو النور، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، 1971، ص 147

ذلك مما كان يشغل الفكر العام، إذ ذاك (أي في القرن الثاني عشر). وقضية الطريقة والمشائخ والزوايا قد شغلت الرأي العام منذ القرن الثامن بصورة خاصة. ونفس القضية يطرحها زروق في كتابه قواعد التصوف. وعدة المرید، وكتاب ابن خلدون شفاء السائل وتهذيب المسائل.

تعريف الخلف برجال السلف لأبي القاسم محمد الحفناوي، سرد فيه المؤلف وصف فيه حياة المترجم لهم معتمدا على كتب سابقه، وهو يبين في خطة الكتاب أهمي علماء المغرب الأوسط (واشتهر في التاريخ قدره بعلماء بنو تآليفهم على اركان التحقيق وحصنوها بأسوار التدقيق، فكانوا في عصرهم نجوم اهتداء وأيمة اقتداء)¹³ وقد قسم كتابه إلى قسمين القسم الأول تناول فيه عشرين علما، اما القسم الثاني فقد خصصه لتراجم من علماء المغرب الأوسط، ومن الاقطار الأخرى كالسودان الغربي والمغرب وتونس والأندلس، وبلغ عددهم 369 ترجمة تتفارت بين الامعان في ذكر سيرهم وأعمالهم وبين الاختصار والتجاوز والسطحية.

لم يقتصر الحفناوي في كتابه على الأولياء من الصوفية وإنما ترجم لفقهاء وأدباء وقضاة وحتى بعض السياسيين، سواء من الأقدميين أو المعاصرين له.

مناقب صلحاء الشلف لأبي عمران موسى بن عيسى المازوني، وهذا الكتاب¹⁴ مختصر كتاب ديباجة الافتخار في مناقب أولياء الله الاخيار، تحقيق ودراسة عبد القادر بوباية، عرف في مؤلفه بالأولياء والصلحاء وذكر مناقبهم وكراماتهم كما تضمن مادة تاريخية مهمة تفيدنا في معرفة تطور الحركة الصوفية في العالم الاسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة، إضافة إلى تضمنه أخبارا عن علاقة الصوفية برجال الحكم والسياسة (الدولة الزيانية وأمراء بني توجين ومغراوة وبني غانية) ودورهم في الحياة الاجتماعية والثقافية والاقتصادية خلال القرنين 7 و8 الهجريين،

ومن المصادر الأخرى:

¹³ - الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، طبع ببيير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906. ص 2
¹⁴ - أبو عمران موسى بن عيسى المازوني، مناقب صلحاء الشلف وهو مختصر كتاب ديباجة الافتخار في مناقب أولياء الله الأخيار، دراسة وتحقيق، عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت

نشر المثاني في أهل القرن الحادي عشر والثاني "مُحَمَّد بن الطيب القادري، البستان في أخبار الأولياء بتلمسان، لابن مريم، النجم الثاقب لمحمد بن أبي الفضل سعد الانصاري، وعنوان الدراية فمن عرف في المائة الثامنة في بجاية للغيريني، تعريف الخلف برجال السلف للحفناوي.

"الإفصاح عن عرف بالأندلس بالصلاح" لأبي البركات البلقيي و"أنوار الأفكار فيمن دخل جزيرة الأندلس من الزهاد والأبرار لابن الصقر المتوفى عام 559هـ. "السحابة فيمن دخل المغرب من الصحابة" لأبي راس الناصري المعسكري، ودوحة الناشر لمحاسن من كان بالمغرب من مشائخ القرن العاشر وشخصية ابن عسكر لمحمد بن عسكر الشفشاوي، هو أول من أرخ للحركة الجزولية بالمغرب.

3- الرحلات

نسمة الآس في حجة سيدنا أبي العباس¹⁵ : وهي رحلة للشيخ أحمد عبد القادر القادري(ت 1133هـ) مع شيخه أحمد بن عبد الله، و"أنس الفقير وعز الحقير" لابن قنفذ المعروف بابن الخطيب القسنطيني. المحاضرات لليوسي، تقدم الكتاب توصيفا للحياة الأدبية والصوفية بالمغرب في القرن الحادي عشر ألفها خلال رحلته إلى الجنوب عام 1095هـ. ويرسم لنا هذا الكتاب ألواناً شتى عن التصوف المغربي. تحدث عن أذعياء التصوف إبان الانحلال. وقد أشار لرحلة أبي عبد الله بن ناصر إلى الشرق وتلقيه الطرقية الشاذلية للمصريين، وتحدث عن الزاوية الدلائية وانهايار سلطانها السياسي عام 1079هـ، وعرج على عادة الإطعام في الزوايا فذكر أنه شاع إطعام الطعام، خصوصاً في البوادي

الرحلة العياشية الموسومة ب"ماء الموائد" مشحونة كذلك بالمعلومات الطريفة عن التصوف الشرقي والغربي و رحلة الشيخ أحمد الناصري الدرعي أقصر منها نفساً في الموضوع. وقد اغتتم الناصري وجوده بإفريقية والجزائر وطرابلس ومصر، فأسس فروعاً للطريقة الناصرية.

¹⁵ - القادري، نسمة الآس في حجة سيدنا أبي العباس، تح: المصطفى مدوحي، وزارة الأوقاف ولشؤون الاسلامية

4- الفهارس

الفهرسة هي سلسلة تراجم لشيخ المؤلف تتخللها أحياناً معلومات ثقافية أو اجتماعية أو سياسية عن ذلك العصر

الغنية فهرست شيخ القاضي عياض، للقاضي عياض، يحتوي في بدايته على قسم يتعلق بجميع الفهارس على وجه العموم، أما قسمه الثاني فيتعلق بفهرست الإمام عياض بن موسى بن عياض اليحصبي على وجه الخصوص، وسمى الأشيخ الذين أخذ عنهم: قراءة، وسمعا، ومناولة، وإجازة، وممن كتب إليه، وقد أفرد لعلمائه وشيوخه الذين التقى بهم في رحلته، حيث ترجم لهم، وتناول حياتهم ومؤلفاتهم وما لهم من مكانة ومنزلة وتأثير¹⁶. فهرسة يحيى السراج، و"المنح البادية" لمحمد بن عبد الرحمن و"مرآة المحاسن" نفسها تحتوي على فهرسة مؤلفها، و"بذل المناصحة في فضل المصافحة" لأحمد السوسي البوسعيدي.

وهناك مؤلفات اهتمت تنتقد أدياء التصوف منها "المزايا في ما أحدث في أم الزوايا" للمحدث ابن عبد السلام الناصري (حيث أشار إلى أن الشيخ سيدي أحمد الصقلي هو الذي أدخل إلى المغرب الطريقة الخلوتية بعد رجوعه من مصر) و"كشف قناع الالتباس عن بعض ما تضمنته بدع مدينة فاس" لمحمد بن أحمد الصباغ و"عدة المرید الصادق" للشيخ زروق، ومما صنف أيضاً في هذا الباب "مقام التجلي والتخلي من صحبة الشيخ أبي محلي" لأحمد التواتي.

¹⁶ - القاضي عياض، الغنية، تح: ماهر زهير جرار الناشر: دار الغرب الإسلامي الطبعة: الأولى 1402 هـ - 1982 م

المرحلة الزهدية في الغرب الإسلامي.

أولاً: الزهد في عرف العباد

الزهد في الإسلام ليس مقترنا بالفقر، بل يرى المتصوفة أن الزهد ليس أن لا تملك شيئاً وإنما أن لا يملكك شيئاً، فالزهد يكون فيما تملك، أما إذا كنت لا تملك ففيما ستزهد؟؟ وحتى نفهم ذلك جيداً نعرض على ما فعله ثالث الخلفاء الراشدين عثمان بن عفان الذي كان من كبار الأغنياء، وكان زاهداً فيما كان يملك، و يروى عن زهده أنه قد جهز جيش العسرة و اشترى بئر روما من يهودي كان يمنع المسلمين¹ حتى قال عنه رسول الله ﷺ: « ما ضر عثمان ما فعل بعد هذا » { ١٨ } ، فكان عثمان على هذا الأساس قدوة لأهل الزهد..

فالزهد لم يكن يعني الابتعاد كلية عن الدنيا بل يعني التوسط و الاعتدال في الأخذ بأسبابها و ملذاتها ، و هذا مشار إليه في قوله تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا)²، والزهد عندهم من المقامات التي يأخذ بها المتصوف في طريق الوصول. ففي الزهد تزول معاني الطمع و الجشع و تجتمع فيه معاني السخاء و الكرم وهو محصور عندهم بين عدم الأسف على ما فات و وعد الفرح على ما يأتي مصداقاً لقوله تعالى: (لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ)³ و قد قال ﷺ : «إذا رأيتم الرجل قد أوتي زهداً في الدنيا ، ومنطقاً، فاقربوا منه، فإنه يلقي الحكمة)⁴، وهو أساس الطاعة عندهم و أصل القربة إلى الله تعالى: ، و الصوفية معروفون بالزهد و منسوبون إليه في نشأة أحوالهم و مراتبهم ، مثلما لا يقدر على الزهد و مصاحبة الزاهدين إلا من صحت عزيمته على سلوك الطريق ، لكن ينبغي الإشارة إلى أن مقالاتهم لا تدعو إلى العزوف عن الدنيا بقدر ما تهدف إلى تنقية القلب و تصفية النفوس من شوائب الكدر و رعونة الهوى.

أما مقام الفقر عند الزهاد المحققين هو الذي يوجب التسليم بقضاء الله وقدره ، فلا مفر من فقر الفقير إلا بالقبول لما كتبه الله عليه، كما يفهم منه هو أنهم فقراء إلى الله في كل أحوالهم.

ثانياً: زهاد الغرب الاسلامي

¹- مدخل إلى التصوف الاسلامي، مرجع سابق، ص 52

²- سورة البقرة 143

³- سورة الحديد، 23.

⁴- الرسالة القشيرية، مصدر سابق، ص112.

من الصعب أن نحدد تاريخاً معيناً للمرحلة الزهدية في بلاد المغرب، وإن كنا نستلم بأن الزهد وما يتبعه من نسك وتقشف من متاع الدنيا برزت أشكاله الأولى في حياة القادة الفاتحين وحملة العلم، والصحابة والتابعين الذين وفدوا إلى بلاد المغرب في القرن الأول للهجرة.

إن الزهد في بلاد المغرب لم يكن متأخراً في الظهور عن نظيره في المشرق، ففي الوقت الذي كان فيه الحسن البصري مع جمع من مريديه يحيا حياة زهد وانقطاع الى العبادة، نجد إسماعيل بن عبيد الأنصاري يوغل في التبتل والعبادة.

إن المتأمل في تطور الحركة الزهدية ببلاد المغرب، يجد أنها ارتبطت بالمرابطة وهي تعني ملازمة المتعبّد - الزاهد - أحد الحصون أو الرباطات لممارسة وظيفة الحراسة على الثغور والعبادة، فعلاوة على اقتران (الرباط) بهاتين الوظيفتين، فقد كان من روادها أيضا الفقهاء وأهل العلم⁵، وهو ما أسهم في مدّ جسر بين ال زهاد والفقهاء.

وقد أشارت المصادر⁶ التي ظهرت بين منتصف القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي ومنتصف القرن الخامس الهجري/الحادي عشر الميلادي إلى جوانب من المرحلة الزهدية في بلاد المغرب، مثل مظاهر الزهد الأولى بإفريقية عند "أبي حفص عبد الجبار المسراقي" (ت 281هـ/894م)، والذي يمكن اعتبار تجربته من أقدم التجارب الزهدية ببلاد المغرب، إذ تنسب إليه أقوال تحيل على تجربة الزهد. مثل قوله: (كنت أخلو لأسلم، ثم صرت أخلو لأنعم، ثم صرت أخلو لأعلم، ثم صرت أخلو لأفهم، ثم صرت أخلو لأنعم)⁷

يعد ربيع القطان من زهاد المرحلة، الذي جمع بين العلم والعمل والأنس والانبساط (وكان لسان إفريقيّة في وقته في الزهد والرقائق)8، رحل إلى مصر وتأثر بأفكار المتصوف الشهير "ذي النون المصري" (ت 245 هـ/859م) الذي كان أول من تكلم على "ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية". وتذكر بعض المصادر أنّ القطان كان يرأس جماعة من الزهاد تلتفون حوله في شكل حلقات ومن أشهر هؤلاء: أبو محمّد عبد الله اللّجام وأبو إسحاق إبراهيم بن محمّد القصري (ت 334 هـ/945م) وإبراهيم السبائي (ت 356 هـ/966م)، ويذكر ألفرد بل عن ابن سحنون عن جهاده وأبو محمّد عبد الرحيم بن عبد ربه الربيعي أقام رباطا يعرف بقصر زياد وكان عنده 17 الف شجرة

⁵- نللي سلامة العامري: التصوف بإفريقية في العصر الوسيط، دار كونتراست للنشر، سوسة - تونس، أبريل 2009، ص 50
⁶- مثل: مناقب "ابن نصرّون مروان العابد" (ت 340هـ/951م)، ومناقب "السبائي" (ت 356هـ/966م)، ومناقب "ربيع القطان" (ت 333هـ/944م)
⁷- ابن ناجي، معالم الايمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق محمّد الأحمدي ومحمّد ماضور، طبع المكتبة العتيقة تونس د.ت، ج 2، ص 127
⁸- نفس المصدر، ج 3، ص 30

زيتون ينفق غلالها في سبيل الله، و أبو السري واصل بن عبد الله اللخمي ت 252هـ يقيم في رباط بقصر المهديّة، وكان له حانوت يتاجر فيه فتركه ونبذ الدنيا فغدا الرباط للعباد والنسك ومدرسة يدرس فيها العلم

كما عرف مطلع القرن الرابع الهجري زهادا أمثال مُجَّد عبد الله التاهرتي (ت 313 هـ/925م) "كان يشير إلى المحبة والشوق". وكذلك "مُجَّد عبد الله الغيمي الفخار (ت 316 هـ/928م) الذي يعد، حسب المصطلح الصوفي، من "الكڨادين"⁹ (أي كثرة الزهد)، وقال المالكي عن أبي جعفر أحمد الدبّاغ (ت 330 هـ/941م) إنه "يميل إلى التّصوف" وكذا "أبا عبد الله محمّد بن سهل" (ت 333 هـ/944م)، عددا من الزهاد المغاربة منهم بكر بن حماد التاهرتي (ت 265هـ) الذي درس على يد الامام سحنون وأبي القاسم الهمداني المعروف بالوهرائي (ت 411هـ) والذي استقر بالقيروان وعرف بالورع والسخاء والزهد، وأبو جعفر أحمد بن خلوف المسيلي المعروف بالحيايط الذي سكن الثغر أعواما كثيرة مجاهدا حتى اشتهر فيه¹⁰.

إنّ كتاب "المعالم" للدبّاغ يتضمن إشارة قوية دالة على زيادة بعض الأعلام من إفريقية وإشعاعهم في عالم الفكر والتّنظير الصوفي في المشرق وقد ذاع صيتهم في تلك الأوساط إلى درجة أنّ الدبّاغ قال في المعالم: (وشهرة أبي عبد الله المغربي وأبي سليمان وأبي عقّال بن غلبون وأبي الغض الخادم، بالمشرق أكثر من شهرتهم بالمغرب لموتهم هناك).

كما ذكر القشيري في رسالته كلا من أبي عبد الله المغربي وأبي عثمان سعيد المغربي¹¹ بالنسبة إلى أبي عثمان سعيد بن سلام المغربي المتوفى سنة (373هـ/983م).

هذه الشخصيات تعطينا مؤشرات على تواجد الزهاد منذ أواخر القرن الثالث وأواسط القرن الرابع الهجريّين وسيشكلون نواة لمرحلة التصوف وأضحوا من أربابه.

المحاضرة 03: عوامل وظروف نشأة التيار الصوفي في بلاد الغرب الاسلامي

⁹ - المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية، 191/2
¹⁰ - ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة: الثانية، 1988 م، 77/1.
¹¹ - الرسالة القشيرية، مصدر سابق، ص 94

يرى البعض أن (التصوف إيديولوجية أزمة أنتجتها مجتمع متأزم)¹²، وان الكتاب المناقبي مرتبط أشد الارتباط بالأزمات الاجتماعية والمذهبية وكذا الانتكاسات العسكرية والسياسية.

أولاً: عوامل ظهور التصوف

1- وفود بعض الزهاد المشاركة إلى بلاد المغرب مثل: من أولئك الزهاد العشرة الذين بعثهم الخليفة عمر بن عبد العزيز ليفقهوا سكان بلاد المغرب في الدين منهم: اسماعيل بن عبيد الله الانصاري (ت 107هـ في غزوة بحرية) وكان من أهل الفضل والعبادة والنسك، واسماعيل بن عبيد الله المخزومي (ت 122هـ)

2- رحلات الزهاد المغاربة إلى المشرق:

- اعتاد المغاربة على شد الرحال إلى المشرق للحج وطلب العلم، إضافة إلى رغبتهم للقاء الزهاد المشاركة ومصاحبتهم والأخذ عنهم من هؤلاء:

- ابو عبد الله محمد بن مسروق الزاهد، أبو عبد الله محمد بن أحمد السوسي قال: (الزهد تجريد القلوب ونزوع اليقين بالانصراف، وقيل أنه توفي بالطور بمصر) البهلول بن راشد (ت 183هـ)، يصفه المالكي بأنه وتد من أوتاد المغرب وقد التقى البهلول في المشرق بالإمام مالك (ت 93هـ-179هـ) الذي لاحظ غلبة العبادة عليه فلقبه "عابد المغرب"، عبد الملك بن أبي كريمة سمع من مالك وسفيان الثوري.

3- الحروب التي اجتاحت بلاد المغرب في صدر عصرها الاسلامي:

- من حروب الخوارج والعلويين ضد ولاية بني أمية بسبب غياب المساواة بين العرب والبربر
- في ظل هذه الظروف نزع بعض العرب والبربر إلى الزهد

4- غلبة المذهب المالكي :

- رغم أن نزعة الزهد كانت قد سبقت المذهب المالكي في الدخول لبلاد المغرب فقد كان لموقف المالكية من الزهد تأثيراً واضحاً وإقبال المغاربة عليه، وكان غالبية زهاد المغرب يجمعون بين المالكية والزهد مثل علي بن زياد التونسي الذي أدخل الموطأ إلى بلاد المغرب وكان مالكيًا زاهداً وكلن له كتاب في الزهد وعبد الملك بن أبي كريمة مالكيًا وزاهداً، وعبد الرحيم بن عبد ربه الزاهد سمع من سحنون بن سعيد ومن أسد بن الفرات

¹² - الزهاد والمتصوفة، مرجع سابق، ص 55.

5- حركة الزهاد في المجتمع وتمكنهم من قلوب العامة:

ويرجع ذلك إلى تأثيرهم في الحياة العامة، فكان منهم من يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر، ومنهم من يتصدى لمظالم الحكام ودفعها عن الناس، ومنهم من كان كثير السياحة، ومنهم من يحرس في المحارس والربط، جعلت المغاربة يميلون إلى الزهد والزهاد.

6- انتشار الرباطات:

عرفت فترة ما بعد الفتح الاسلامي لبلاد المغرب، انتشار الرباطات على الثغور الساحلية، التي كانت مهمتها الأولى الدفاع عن السواحل الاسلامية من غارات النصارى، فإنها كانت بمثابة مدارس تعقد فيها الحلقات العلمية واشتهرت بنظام معين للتربية والذكر.

ومع تراجع نشاطها العسكري، ظلت هذه الرباطات ملاذا لأولئك الراغبين في المجاهدات والزهد والتجرد، والتركيز على الذكر، لا سيما في سواحل بجاية وإفريقية؛ فكانت بذلك نواة لظهور التصوف في بلاد المغرب خلال القرن 6هـ.

7- الظروف السياسية:

شهدت بلاد المغرب في القرنين الثاني والثالث الإضطرابات السياسية، ظهور الإمارات، الترف الذي ظهر عند الأغالبة، مثل أبوعقال غلبون الذي كان من أبناء البيت الأغلبي ونشأ في رفاهية عظيمة وكان شديد العبث والمجون؛ فلما انعم الله عليه بالتوبة نزع إلى التصوف وصحب أبا هارون الأندلسي وسار معه إلى الحجاز أين توفي 291هـ، وأبوجعفر أحمد بن خلف المسيلي المعروف بالخياط توفي بقرطبة 393هـ.

من الصعب تحديد تاريخ لظهور التصوف ببلاد المغرب للأسباب التالية:

- اختلاط المتصوفة بالزهاد اختلاطاً شديداً وقت ظهور التصوف في بلاد المغرب
- استمرار تواجد الزهاد بعد ظهور المتصوفة وتشابه كثير من أنشطة الزهاد والمتصوفة الأوائل
- كان المغاربة يستخدمون مسميات واحدة للدلالة على كل من الزهاد والمتصوفة "العباد" ويسبغون الولاية على نفر من الفريقين ونعتهم بالصلاح والورع والاجتهاد في العبادة مثل أبي سنان زيد بن سنان الأسدي وأبو عثمان الجزيري

تشير أغلب الدراسات المتخصصة، أن التصوف بشكله الفكري والسلوكي برز في القرن السادس الهجري من خلال كتاب التشوف للتادلي والإحياء لأبي حامد الذي حاول أن يجمع بين الشريعة والحقيقة.

نشأة التيار الصوفي في بلاد الغرب الاسلامي

عوامل وظروف نشأة التيار الصوفي في بلاد الغرب الاسلامي

يرى البعض أن (التصوف إيديولوجية أزمة أنتجت مجتمعا متأزما)¹، وأن الكتاب المناقبي مرتبط بأشد الارتباط بالأزمات الاجتماعية والمذهبية وكذا الانتكاسات العسكرية والسياسية.

أولا: عوامل ظهور التصوف

1- وفود بعض الزهاد المشاركة إلى بلاد المغرب مثل: من أولئك الزهاد العشرة الذين بعثهم الخليفة عمر بن عبد العزيز ليفقهوا سكان بلاد المغرب في الدين منهم: اسماعيل بن عبيد الله الانصاري (ت 107هـ في غزوة بحرية) وكان من أهل الفضل والعبادة والنسك، واسماعيل بن عبيد الله المخزومي (ت 122هـ)

2- رحلات الزهاد المغاربة إلى المشرق:

- اعتاد المغاربة على شد الرحال إلى المشرق للحج وطلب العلم، إضافة إلى رغبتهم للقاء الزهاد المشاركة ومصاحبتهم والأخذ عنهم من هؤلاء:
- أبو عبد الله محمد بن مسروق الزاهد، أبو عبد الله محمد بن أحمد السوسي قال: (الزهد تجريد القلوب ونزوع اليقين بالانصراف، وقيل أنه توفي بالطور بمصر) البهلول بن راشد (ت 183هـ)، يصفه المالكي بأنه وتد من أوتاد المغرب وقد التقى البهلول في المشرق بالإمام مالك (ت 93-179هـ) الذي لاحظ غلبة العبادة عليه فلقبه "عابد المغرب"، عبد الملك بن أبي كريمة سمع من مالك وسفيان الثوري.

3- الحروب التي اجتاحت بلاد المغرب في صدر عصرها الاسلامي:

- من حروب الخوارج والعلويين ضد ولاة بني أمية بسبب غياب المساواة بين العرب والبربر
- في ظل هذه الظروف نزع بعض العرب والبربر إلى الزهد

4- غلبة المذهب المالكي:

- رغم أن نزعة الزهد كانت قد سبقت المذهب المالكي في الدخول لبلاد المغرب فقد كان لموقف المالكية من الزهد تأثيرا واضحا وإقبال المغاربة عليه، وكان غالبية زهاد المغرب يجمعون بين المالكية والزهد مثل علي بن زياد التونسي الذي أدخل الموطأ إلى بلاد المغرب وكان مالكيًا زاهدا وكلن له

¹ - الزهاد والمتصوفة، مرجع سابق، ص 55.

نشأة التيار الصوفي في بلاد الغرب الاسلامي

كتاب في الزهد وعبد الملك بن أبي كريمة مالكيًا وزاهداً، وعبد الرحيم بن عبد ربه الزاهد سمع من سحنون بن سعيد ومن أسد بن الفرات

5- حركة الزهاد في المجتمع وتمكنهم من قلوب العامة:

ويرجع ذلك إلى تأثيرهم في الحياة العامة، فكان منهم من يأمر بالمعروف وينهي عن المنكر، ومنهم من يتصدى لمظالم الحكام ودفعها عن الناس، ومنهم من كان كثير السياحة، ومنهم من يحرس في المحارس والربط، جعلت المغاربة يميلون إلى الزهد والزهاد.

6- انتشار الرباطات:

عرفت فترة ما بعد الفتح الاسلامي لبلاد المغرب، انتشار الرباطات على الثغور الساحلية، التي كانت مهمتها الأولى الدفاع عن السواحل الاسلامية من غارات النصارى، فإنها كانت بمثابة مدارس تعقد فيها الحلقات العلمية واشتهرت بنظام معين للتربية والذكر.

ومع تراجع نشاطها العسكري، ظلت هذه الرباطات ملاذا لأولئك الراغبين في المجاهدات والزهد والتجرد، والتركيز على الذكر، لا سيما في سواحل بجاية وإفريقية؛ فكانت بذلك نواة لظهور التصوف في بلاد المغرب خلال القرن 6هـ.

7- الظروف السياسية:

شهدت بلاد المغرب في القرنين الثاني والثالث الإضطرابات السياسية، ظهور الإمارات، الترف الذي ظهر عند الأغالبة، مثل أبوعقال غلبون الذي كان من أبناء البيت الأغلبي ونشأ في رفاهية عظيمة وكان شديد العبث والمجون؛ فلما انعم الله عليه بالتوبة نزع إلى التصوف وصحب أبا هارون الأندلسي وسار معه إلى الحجاز أين توفي 291هـ، وأبوجعفر أحمد بن خلف المسيلي المعروف بالخياط توفي بقرطبة 393هـ.

من الصعب تحديد تاريخ لظهور التصوف ببلاد المغرب للأسباب التالية:

- اختلاط المتصوفة بالزهاد اختلاطاً شديداً وقت ظهور التصوف في بلاد المغرب
- استمرار تواجد الزهاد بعد ظهور المتصوفة وتشابه كثير من أنشطة الزهاد والمتصوفة الأوائل

نشأة التيار الصوفي في بلاد الغرب الاسلامي

- كان المغاربة يستخدمون مسميات واحدة للدلالة على كل من الزهاد والمتصوفة "العباد" ويسبغون الولاية على نفر من الفريقين ونعتهم بالصلاح والورع والاجتهاد في العبادة مثل أبي سنان زيد بن سنان الأسدي وابو عثمان الجزيري

تشير أغلب الدراسات المتخصصة، أن التصوف بشكله الفكري والسلوكي برز في القرن السادس الهجري من خلال كتاب التشوف للتادلي والإحياء لأبي حامد الذي حاول أن يجمع بين الشريعة والحقيقة.

أعلام التصوف في الغرب الاسلامي

أعلام التصوف في الغرب الاسلامي

ظهر الكثير من المتصوفة في الغرب الاسلامي منذ القرن الخامس الهجري، سنذكر بعضهم (القرن 5هـ / 11م):

أولاً: في الأندلس:

1- أبو العباس ابن العريف المتوفى بمراكش سنة (ت 536 هـ)

و هو من أهل المرية و له في التصوف كتاب "محاسن المجالس" وكانت تقوم طريقته على الزهد في منازل الصوفية و العطايا و المواهب الإلهية و الكرامات، و ما يتصل بها من المنن التي يمنّ الله بها على النفس الإنسانية. و يقول: إن طريقته هي "طريقة الخواص" التي تقف عند الفناء في محبة الذات الإلهية، وليس وحدة الوجود، وهو بذلك يعد من أصحاب التصوف السني¹.

من معاصريه في الأندلس ابن برّجان الإشبيلي عبد السلام بن عبد الرحمن المتوفى سنة 536هـ، و أيضاً ابن قسّى، أبو عبد الله الشوزي و تلميذه ابن دهاق المالقي المتوفى سنة 611هـ.

2- أبو القاسم أحمد بن الحسين بن قسّى (ت 546 هـ)

كان من المتصوفة الثائرين، صنف كتاب "خلع النعلين" في التصوف ثم رحل إلى ابن العريف بالمرية والتقى بابن برجان وأقاموا عنده، وكثر أتباعهم فأعلن الثورة التي عرفت بـ "ثورة المريدين"² زمن علي بن يوسف بن تاشفين المرابطي. وبذلك تحول تصوفه من الولاية الصوفية إلى إعلان الإمامة السياسية التي استهدفت الحكم المرابطي. ورغم فشل ثورة ابن قسّى، فقد زعزعت أركان السلطة المرابطية وأدخلت بلاد المغرب إلى عهد جديد مع الموحدين.

3- ابن سبعين الأندلسي (ت 669 هـ).

¹ شوقي ضيف، عصر الدول والامارات - الأندلس، دار المعارف 2017، ص ص 55

² عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص 179.

أعلام التصوف في الغرب الاسلامي

عبد الحق بن إبراهيم بن مُحمَّد بن نصر بن سبعين الأشبيلي المرسي، من الفلاسفة المتصوفة والقائلين بوحدة الوجود، يقول أصحاب (الموسوعة الميسرة): (وتدل أجوبته على سعة علمه بفلسفة أرسطو والأفلاطونية المحدثة)³، سلك الطريقة الصوفية الشاذلية المنسوبة إلى أبي عبد الله الشاذلي.

ثانياً: في بلاد المغرب:

1- أبو يعزى يلنور (ت 572هـ)

عاش زمن المرابطين وفترة من حكم الموحديين، شهرته بالمغرب تفوق شهرة أي ولي آخر، يقول الشيخ زروق: (ثلاثة حكموا المغرب بعد موتهم: أبو يعزى، وأبو العباس السبتى، وأبا مدين)⁴، نقلت أخباراً كثيرة عن كراماته، أوردها صاحباً 'التشوف' و 'دعامة اليقين'، منها: أنه كان يكشف بذنوب العباد ويفضحهم بها ليتوبوا.

سنده في التصوف يرتفع إلى الحسن البصري؛ حيث قال أبو مدين الغوث يوماً: (طريقتنا هذه أخذناها عن أبي يعزى بسنده عن الجنيد عن السقطي عن حبيب العجمي عن الحسن البصري...)

2- أبو مدين شعيب الأنصاري الأندلسي (المعروف بالغوث ت 594 هـ/1198هـ):

ولد ببجاية وبها نشأ، أصله من أشبيلية، درس في سبتة وفاس ومراكش، سافر إلى المشرق وأدى فريضة الحج ثم عاد إلى بلاد المغرب، واستقر تلمسان

أخذ عن عبد القادر الجيلاني بمكة، ودخل المغرب فمر بطنجة وسبتة واستقر بفاس للدراسة، ودرس بها على أبي الحسن علي بن حرزهم "رعاية المحاسبي" وأخذ عنه طريقة الغزالي، وقد كان معجباً به وبمؤلفاته التي قال عنها: "طالعت كتب التذكير فما رأيت كالأحياء للغزالي"⁵ وأخذ بفاس كذلك على أبي عبد الله الدقاق، وأبي الحسن علي بن غالب، وكان بعد انتهاء الدروس يلجأ إلى خلوة خارج المدينة، كما كان كثير الاتصال بأبي يعزى، وأخذ عنه، و كان معجباً به إلى

³- الموسوعة الميسرة 18/1.

⁴- اليوسي، المحاضرات، 69

⁵- التشوف، مصدر سابق، ط1، 195.

أعلام التصوف في الغرب الاسلامي

أقصى الحدود⁶

وقد انتهى به المطاف في بجاية، ومنها استدعاه المنصور الموحي خلال الفترة التي اهتم فيها بالتصوف وتقريب الصوفية، وتوفي وهو في الطريق إليه، فدفن بالعباد (قرب تلمسان).

وصفه المقرئ ب: شيخ المشايخ، وسيد العارفين، وقدوة السائلين، من أعلام العلماء وحفاظ الحديث، ذكر ابن الزيات أنه قال: (كنت بالأندلس يتيماً فجعلني أخوتي راعياً لمواشيهم، فاذا رأيت من نصلي أو من يقرأ القرآن أعجبي ودنوت منه... فقويت عزيمتي على القرار لأتعلم القراءة والصلاة)⁷.

كان لأبي مدين منهجه في الزهد التي تهدف إلى الزهد بما فيه ذلك منازل الصوفية والعطايا والمواهب والكرامات التي يودعها الله في نفس الصوفي، ثم هاجر للمشرق واحتك بالمتصوفة هناك مثل عبد القادر الجيلاني ت 560هـ. توفي بتلمسان، ودفن بجبل العباد سنة 594هـ/1198هـ):

3- علي بن اسماعيل بن حرزهم (559هـ):

من علماء فاس فقها وحديثا ومن كبار صوفيتها، كان عابدا زاهدا صوفيا متحققا، كما عرفت عائلته بالعلم والصلاح، وكذلك والده محمد بن علي بن حرزهم المعروف بسيدي حرازم.

أخذ التصوف عن القاضي أبي بكر بن العربي عن الامام الغزالي، وأبي الفضل يوسف التوزري، وكان من المدافعين عن كتاب إحياء علوم الدين، وممن روجوا له بالمغرب، كانت وفاته بفاس عام 559هـ.

من مواقفه معارضته للأمير المرابطي علي بن يوسف بن تاشفين عندما أمر بقتل الفقيه الفيلسوف أبي الحكم بن برّجان وإلقاء جثته فوق مزبلة.. لقد استنكر ابن حرزهم هذا الفعل على رؤوس الملاء وخطب في الناس وأمرهم بالاهتمام بجنازة ابن برجان، حيث نادى في السواق: "احضروا جنازة الشيخ الفاضل الفقيه الزاهد أبي الحكم بن برجان، ومن قدر على حضورها ولم يحضر فعليه لعنة الله" حسبما ذكره أحمد بن خالد الناصري.

⁶- نفس المصدر، ص195

⁷- نفس المصدر، ص 322

أعلام التصوف في الغرب الاسلامي

4- عبد السلام بن مشيش (622هـ)

وهو من زهاد المغرب، اشتهر برسالة تدعى "الصلاة المشيشية" ولد في جبل العلم بتطوان عام 563هـ⁸، عرف عنه الزهد والتوكل على الله، والاختفاء عن الناس، ويمكن تقسيم حياة ابن مشيش إلى ثلاث مراحل: مرحلة الاجتهاد في العلم، ومرحلة تربية الأبناء والجهاد، ومرحلة التفرغ للعبادة عبر الخلوة، حيث اختار المقام في جبل العلم حتى مات شهيداً، واتهم بقتله جماعة ابن ابي الطواجين الكتامي المتنبي. وكان من تلامذته أبي الحسن الشاذلي.

ينسب أغلب متصوفة بلاد المغرب المتأخرين في أخذ اورادهم إلى ابن مشيش

5- أبو الحسن الشاذلي (ت 656هـ)

أبو الحسن علي بن عبد الله الذي ينتهي نسبه إلى الإمام الحسين، صاحب الطريقة الشاذلية، ولد سنة 593هـ بقريّة شاذلة قرب تونس وتوفي سنة 656هـ

تتلمذ أبو الحسن الشاذلي على يد إمام أهل المغرب عبد السلام بن مشيش، وكان له كل الأثر في حياته العلمية والصفوية، ودرس على يد أبو سعيد الباجي . ثم رحل إلى تونس، وأقام بجبل زغوان⁹، حيث اعتكف للعبادة، وبعد ذبوع صيته وشي به للسلطان، فخرج إلى مصر. وأقام بالإسكندرية، ثم خرج إلى الحج وعاد أخيراً إلى مدينة تونس

ومن أشهر تلاميذه، أحمد أبو العباس المرسي (ت سنة 686هـ) ومن تلاميذ المرسي ياقوت العرش(ت سنة 707 هـ)، ومن تلاميذ ياقوت العرش ابن عطاء الله السكندري(ت سنة 709 هـ) وغيرهم، قال عنه الشيخ تقي الدين بن دقيق، كما أورده الحافظ السيوطي (ت911هـ) في "حسن المحاضرة" ما نصه: (ما رأيت أعرف بالله من الشاذلي)¹⁰

⁸- الزركلي، الاعلام ، 9/4

⁹- أحمد الشريف، المواهب السنية في المآثر الشاذلية، القاهرة، 1967، ص ص 15 16

¹⁰- أبي المحاسن محمد بن خليل القواقجي ، البدر المنير على حزب الشاذلي الكبير، كتاب ناشرون، بيروت، ص 6

مكانة التيار الصوفي

أولاً: مكانة المتصوفة عند السلطة

1- مرحلة الإمارة الأموية بالأندلس

عرفت نهاية القرن الثاني وبداية القرن الثالث الهجريين، تعرض الفقهاء العباد للتضييق والاضطهاد على يدالحكم الأول (180-206هـ/796-821م) الذي عرفت مجالسه الاسراف واللهو¹، مما دفع الزهاد والفقهاء إلى الوقوف صفا واحدا ضد السلطة الأموية وتأليب العامه على الحكم للاطاحة به وهي تلك الأحداث التي عرفت بقرطبة بموقعة الربيض

خلال القرن الثالث الهجري، ظهر عدد كبير من الزهاد العباد أمثال حسن بن دينار، وحفص بن عبد السلام القرطبي وغيرهما، فضلا عن ظهور المصنفات الزهدية بالأندلس، فقد ألف بن وضاح كتاب "العباد والعبابد" ويمن بن رزق "الزهد"² ظهرت حركة الصوفي ابن مسرة (ت 318هـ) في الأندلس زمن الأمير عبد الله، حيث عرف عهده فتنه واستقلال عددا من الولايات، فخاف ابن مسرة على نفسه، لمكانته والتفاف العامة حوله بقرطبة، فخرج منها بمعية تلميذه محمد بن حزم "ابن المدني" وابن صقيل ونزلوا بالقيروان، ثم الحجاز . بعد استقرار الأوضاع عاد إلى قرطبة اعتزل في جبلها وألف كتاب التبصرة، وخواص الحروف، اختصار مدونة مالك، وتوحيد الموقنين.

بفضل منهج ابن أبي مسرة الذي يجمع بين التصوف والفلسفة، والتأويل والاشارات، وقد أدان الخليفة الناصر سنة 340هـ، هذه الحركة، وأصبح الانتساب إليها يوجب العقاب³، واستمرت حملة مطاردة أتباع ابن مسرة إلى عهد المستنصر (ت 366هـ)، ويصور لنا البناهي كيف عاملهم الخليفة بأن: (استتاب جملة جئى بهم إليه من أتباع ابن مسرة، ثم خرج إلى جانب المسجد الجامع وقعد هناك، فأحرق بين يده، ما وجد عنده من كتبهم ... وهم ينظرون إليه في سائر الحاضرين)⁴

¹- عبد الله عنان، دولة الاسلام في الأندلس، العصر الأول، القسم الثاني، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة 1988، ص 433.

²- الكتاب كان محل تهجم من طرف القهاء الذين حرموا قراءته، أمثال: أحمد بن خالد القرطبي ومسرور بن الحجام القيرواني.

³- نفس المرجع، ص 433.

⁴- البناهي المالقي، تاريخ قضاة الأندلس، تج: مريم قاسم الطويل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995، ص 105.

مكانة التيار الصوفي

أما هذا الوضع خرج أتباع ابن مسرة مثل عبد الرحمن المهندس، كما أودع لسجن صاعد بن فتحون بن مكرم السرقسطي المعروف بالحمار.

2-: مرحلة الدولة المرابطية (447هـ - 541هـ):

كان التصوف في بداية العهد المرابطي محصورا في مجاهدة النفس لذلك لم يجد الزهاد والمتصوفة مضايقة من السلطة، بل كانوا من المجاهدين في الجيش المرابطي لمحاربة نصارى الأندلس وأصحاب النحل بالمغرب، كما اتخذوا من المرابطة على الثغور سبيلا لهم أمثال الإمام الصفدي وابن عُميرة. كما أن حكام الدولة عرفوا بالبساطة والتواضع، والزهد، فيوسف بن تاشفين ابتعد عن كل مظاهر الأبهة، والملك وفضل التبعية للسلطان العباسي، حيث يصفه ابن عذاري (كان خائفا لربه كتوما لسره، كثير الدعاء والاستخارة، مقبلا على الصلاة)⁵. وعُد ابنه خليفته في عداد الزهاد والمتبتلين من الملوك والمتغلبين⁶؛ فضلا عن توقيره للفقهاء.

مع انتشار كتاب "الإحياء" في بلاد المغرب والأندلس، أخذ بعض المتصوفة بمبادئه، أمثال ابي يعزى، وأبي عبد الله الدقاق، وأبي مدين شعيب، حيث ركزوا في ممارساتهم الصوفية على الكرامة والنزوع إلى السلم وعدم مواجهة السلطة.

هناك من المتصوفة من عارض السلطة معارضة سلمية اصلاحية ولم يتبنَ الثورة أمثال وابن حرزهم وأبو الحكم بن برجان وابن العريف الصنهاجي، الذي تبنى منهج صوفي معتدل، مبني على الزهد في كل شئ إلا الله، بما في ذلك الزهد في منازل الصوفية، والعطابا والمواهب الإلهية والكرامات⁷، وكان ناقما على فهاء السلطان مثل أبي حامد الغزالي.

إلا أن ذلك لم يشفع لابن العريف وابن برجان لذي علي بن يوسف المرابطي (ت 537هـ/1142)، وذلك بسبب معارضيته مثل قاضي ألمرية ابن الأسود الذي أوغر صدر علي بن يوسف ضده، مما أدى إلى القبض عليهما وإرساله إلى مراكش مع بعض أتباعه قد أوديا من طرف، وثم قتلها.

⁵- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تح: إحسان عباس، ط3 دار الثقافة، بيروت، 1983، 64/4

⁶- المعجب في لخيص أخبار المغرب، مصدر سابق، ص ص 149-150

⁷- عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة لمرية، ط1، ار النهضة العربية، بيروت، 1969، ص 184

مكانة التيار الصوفي

3_ : مرحلة الدولة الموحدية (541هـ - 668هـ)

سعت الدولة الموحدية منذ عهد مؤسسها الفعلي الخليفة عبد المؤمن بن علي إلى مواجهة زعماء التصوف، حيث ورث ثورات من العهد المرابطي، ممثلاً في ثورة ابن هود (541هـ) بمساندة الجماعة الصوفية المتمركزة برباط ماسة، فضلاً عن العامة التي التفت حوله، أما الثورة الثانية ذات منحى صوفي قادها يدر الدكالي، حيث التفت حوله عدداً من المريدين. وأخطر الثورات استمرار الثورة التي قادها أبو القاسم بن قسي اتلتي انطلقت عام 539هـ إلى غاية 541هـ، والتي كان مسرحها الغرب الاندلسي، والتي عرفت بثورة المريدين. ويشير ابن الخطيب إلى ابن قسي بقوله: (ابتنى رابطة بقرية جلة من قرى شلب، كان يجتمع بها دائرته ... واعى الولاية ... وتسمى إماماً، وكتب إلى البلاد يندب الناس إلى الثورة على المرابطين)⁸

كان لاندلاع هذه الثورة في فترة واحدة، في وقت كانت سلطة الخليفة عبد المؤمن لازالت تبحث عن توازنها، والدولة الموحدية لم يثبت سلطانها بعد، وهذا ما كان له تأثيراً على موقف الخليفة من المتصوفة، فضلاً عن أن الدعوة التومرتية قامت على أساس المهدوية والإمامة والعصمة، وعليه فاعتقاد الإمامة في ابن تومرت وخلفائه ضروري لاستمرار السلطة.

استطاعت السلطة الموحدية أن تضع حداً للثورات المناهضة والعناصر المناوئة سيما المتصوفة، واستقام السلطان لبني عبد المؤمن، لكن شهد النصف الثاني من القرن 7هـ، عودة للقلق السياسية مع الانحلال التدريجي للدولة الموحدية، وظهرت سلطة المتصوفة من جديد.

اتبعت السلطة الموحدية أسلوبين للحد من تنامي قوة المتصوفة:

- أ- من جهة أخرى حاولوا احتواء زعماء التصوف من خلال:
- إضفاء الامتيازات على بعض المتصوفة أو تعيينهم في بعض المناصب، مثل رفع الضرائب على شيوخ رباط تيط من طرف الخليفة المأمون (ت 630هـ) لمساندته ضد الأمير يحيى، وتعيين الشاعر المتصوف أبي عمرو ميمون بن علي الصنهاجي (ت 637هـ) على حسبة السوق

⁸ - ابن الخطيب، تاريخ اسبانيا الإسلامية، ص 249 250.

مكانة التيار الصوفي

- إدماجهم في حركة الجهاد، حيث عمد ابو يعقوب المنصور إلى جعل الصلحاء في الصفوف الأولى للجيش (معركة الأرك 591هـ) بالأندلس، استجلابا للنصر
- ب- من جهة اخرى حاولوا إضعاف سلطة المتصوفة، لكنها فشلت لعمق تأثيرهم في المجتمع؛ ففي عهد الرشيد (حكم بين 630- 640هـ) تآزمت العلاقة بين شيوخ تيط وابطل إعفائهم من الضرائب، مما جعلهم في خلافة المرتضي (646- 665هـ) يؤون الوالي أبا فارس الثائر على الخليفة، واعترف بسيادة الأمير المريني يعقوب بن عيد الحق (ت 685هـ)، كما سجن ابن مؤسس رباط آسفي عبد الله بن أبي مُجَّد صالح الماجري (ت 651هـ).

ثانيا: مكانة المتصوفة عند العامة:

كان للمتصوفة مكانة مهمة عند العامة، انطلاقا من الأعمال التي كان يقوم بها شيوخ التصوف لصالحهم، والتي تتمثل فيما يلي:

- منهم من كان يحسن إلى الايتام، ويزوج المحتاجين
 - السعي من أجل إغناء المعوزين، أمثال أبو العباس بن الخراز ويحي الزواوي
 - تداول أخبار كراماتهم وحوادث إجابة دعائهم مثل أبو يعزى يلنور
 - وقف المتصوفة إلى جانب الفقراء ضد الاغنياء الجشعين وفقهاء البلاط
 - تصدر بعض اهل التصوف للتعليم، مثل ابو مُجَّد بن عبد الجليل ت 541هـ كان يدرس العلوم لأهل أغمات
- انطلاقا من هاته الأعمال الموجهة التفت العامة حول المتصوفة لم لمسوا فيهم من إخلاص ودفاع عن حقوقهم.

ثالثا: علاقة المتصوفة بالفقهاء:

من خلال متن ابن عاشر لصاحبة الإمام عبد الواحد بن احمد بن علي (ت 1040هـ/ 1630م) يظهر ذلك التوافق ما بين العقيدة (الإمام الأشعري ت 324هـ) والفقہ "الشريعة" (الإمام مالك ت 179هـ) والتصوف (الإمام الجنيد ت 297هـ).

مكانة التيار الصوفي

لكن عندما ندرس العلاقة التي كانت بين الفقهاء والمتصوفة، نجد تباينا في العلاقة بحكم احوال المتصوفة ومقولاتهم؛ فضلا عن تصديهم للأعمال الاجتماعية، هذه المعطيات جعلت المتصوفة لا يحضون برضا الفقهاء، كما أن سعى بعض الفقهاء إلى التوفيق بين ممارسات السلطة السياسية والشريعة لم يحضوا برضا المتصوفة.

تكاد تجمع جل الدراسات على أن العهد المرابطي هو عهد السيطرة المطلقة لفقهاء المالكية⁹، فالدولة المرابطية قامت على أساس دعوة عبد الله بن ياسين الإصلاحية، ومن هنا كانت الشريعة هي القاعدة الأساسية التي ارتكزت عليها الدولة في سياستها، وبالتالي فإن القائمين على شؤون الدين والمشتغلين بعلومه احتلوا مكانة مرموقة، وتم وضعهم على رأس الجهاز الإداري، بحيث شغلوا مناصب القضاء كما شغلوا مناصب الشورى جانب ما كان لبعضهم من وظائف الوزارة والكتابة. ومن طارت شهرتهم في هذه الفترة أبو القاسم بن حمدين وولده أبو عبد الله، وأبو بكر بن العربي

وأصبحت كلمتهم نافذة على حكام المرابطين خاصة بعد وفاة يوسف بن تاشفين (واشتد إثارة لأهل الفقه والدين وكان لا يقطع أمرا في جميع مملكته دون مشاورة الفقهاء، فكان إذا ولى أحدا من قضاته كان فيما يعهد إليه أن لا يقطع أمرا وييث أمره في صغير من الأمور ولا كبير إلا بحضور أربعة من الفقهاء)¹⁰.

هذه الوضعية جعلت الخلاف ظاهرا بين الفقهاء والمتصوفة الذين اختاروا المجاهدات ومحاسبة النفس والكلام في الأدواق، خلافا للفقهاء، وهو خلاف معرفي داخل المذهب المالكي على اعتبار أن كلاهما كان مالكي المذهب من جهة وتمتع الفقهاء بالمناصب وأصحاب المطامع والمتصوفة الذين التفت حولهم العامة، رغم أنه لا يمكننا أن ننفي حالة التعايش السلمي التي جمعت بينهما في بعض الفترات المبكرة من الحكم المرابطي، والدليل على ذلك أن هناك من الفقهاء من جمع بين الزهد والورع كأبو علي الصديقي وآخرون.

من أهم مظاهر الصراع بين المتصوفة والفقهاء هي مسألة إحراق كتاب إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي التي أفتى فيها القاضي ابن حمدين، ورغم تعدد أسباب الحكم إلا أن تضمنه تجريح

⁹ - سامية مصطفى، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة في عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط 1
2003، ص 323.

¹⁰ - عبد الواحد المراكشي، المعجب، 150

مكانة التيار الصوفي

الفقهاء وتحليله عليهم أهم الأسباب في نظرنا، فقد بين ذلك في مواضع عدة من كتابه، كما هاجم تقصير العلماء واهتمامهم بالأمور الدنيوية على حساب الأمور الأخروية، وفيما يتعلق بتوظيف الفقهاء لعلمهم في كسب الدنيا علق على ذلك بقوله: (لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا)¹¹، وقال أيضا: (لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء، وتمازوا به السفهاء، ولتصرفوا به وجوه الناس إليكم، فمن فعل ذلك فهو في النار)¹²

كما حملهم مسؤولية فساد المجتمع: (إنما فسدت الرعية بفساد الملوك، وفساد الملوك بفساد العلماء، فلو لا القضاة السوء والعلماء السوء لقل فساد الملوك خوفا من إنكارهم)¹³. وعلى ما يبدو أنها أثارت حنق الفقهاء المالكية قضية "اجتناب مخالطة السلاطين والتقرب منهم"، وفي هذا يقول: (الداخل على السلطان متعرض لأن يعصي الله تعالى، إما بفعله أو بسكوته، وإما بقوله وإما باعتقاده، فلا ينفك عن أحد هذه الأمور)¹⁴.

وعلى هذا الأساس يرى الدكتور بوتشيش¹⁵ أن تضارب نصوص الإحياء مع واقع الفقهاء في الدولة المرابطية وحياة البذخ التي كانوا يعيشونها، فكان أن لقي الكتاب معارضة من قبلهم، عكس ما وجده من ترحاب في أوساط المتصوفة وعامة الناس.

من القضايا التي كانت محل خلاف بين الفقهاء والمتصوفة كما وردت في نوازل الونشريسي (ت 914هـ): نوازل متعلقة بسلوك المتصوفة / بعض القضايا العقدية لدى طوائف المتصوفة / وجوب الشيخ في التربية / مسألة الكرامة

- كان الحسن البصري من أوائل المنتقدين لوقوف الفقهاء عند ابواب السلاطين طمعا فيما عندهم

- كان أبو هاشم الزاهد شديد النقد للفقهاء الذين يضعون أيديهم في أيدي الأمراء، وكان يصيح (واغماء من فتنة العلماء واكرباه من حيلة الأدلاء)، كما وشي بعض الفقهاء ليعقوب المنصور

¹¹ أخرجه ابن حبان في كتاب روضة العقلاء، المغني عن حمل الاسفار في الاسفار في تخريج ما في الإحياء من الاخبار، للحافظ العراقي http://numeric-quran.com/hadeeth_books_hadeeth.php?TitleID=6596&Book

¹² - الغزالي، إحياء علوم الدين، الدار المصرية اللبنانية (دت) 73/1

¹³ - نفس المصدر، 164/2

¹⁴ - نفسه، 157/2.

¹⁵ - بوتشيش: وقع خطاب كتاب الإحياء للإمام الغزالي في مجتمع الغرب الإسلامي ضمن كتاب "إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، مارس 2002، 236.

مكانة التيار الصوفي

الموحدي بخطورة أبي مدين شعيب بقولهم: (إننا نخاف منه على دولتكم، فإن له شبهة بالإمام المهدي وأتباعه كثيرون في كل بلد) حسب صاحب الاستقصا.

- عاب المتصوفة على الفقهاء وتلامذتهم، ندرة الإخلاص في طلب العلم، وارتباطه بالرئاسة وحب الدنيا فقد قال أبو مدين شعيب يوما للفقهاء أبي مُجَدِّد بن عبد الحق، وهو بصدد تفسير قوله تعالى: "إياك نعبد وإياك نستعين"، (لو كنت تستعين بالله لما استغثت بالسلطان والوزير) وما قاله أبو العباس السبتي: (ركن العلماء إلى الدنيا وبخلوا بها، وغلبوا جانب الرجا)

- وفي الوقت ذاته نلاحظ تقاربا بين الفقهاء والمتصوفة من خلال ما أبداه بعض الفقهاء المجانبين للبلاط من ممارسات واقوال توحى إلى تصوفهم، مثلا فقهاء أسرة بني عشرة تراجعت مكانتهم في عهد الموحدين نظرا لميلهم إلى حياة الزهد والتقرب من المتصوفة

- تميزت علاقة المتصوفة بالمحدثين بحدوء نسبي مقارنة بموقفهم من الفقهاء، لكون أغلب المتصوفة كانوا من علماء الحديث.

التيارات الصوفية في الغرب الاسلامي

1- تيار التصوف السني:

يتميز ب: التزامه بالقرآن والسنة وأخلاق السلف، والابتعاد عن الخوض في القضايا الفلسفية مثل الحلول والاتحاد والاشراق. والحرص على أداء الواجبات واجتناب المنهيات، وعدم التهاون فيها، فقد أثر عنهم تقديم العزيمة على الرخصة، ويجمع رواد هذا التيار أن طريق الآخرة يبني على أداء ما فترضه الله على السالك، ويعتبر مشايخ التصوف السني أن الشريعة هي الركن المتين للحقيقة لذلك يقول عبد القادر الجيلاني في كتابه "فتوح الغيب": (كل حقيقة لم تشهد لها الشريعة فهي زندقة، فعلم الشريعة مفتاح لعلم الحقيقة، ومن أتى الباب بلا مفتاح لا يطمع في دخوله). ويتكون من ثلاثة اتجاهات:

أ- اتجاه الوعظ والتذكير:

عرف اتباعه بالانتقاد اللاذع لأهل البدع سواء ممن زعموا التصوف أو غيرهم، وممن عرفوا بهذا الاسلوب في التصوف أبو مُجَّد عبد الحق الإشبيلي (ت 581هـ) ببجاية. من مؤلفاته الصلاة والتهجد وكتاب الزهد. يقول ابن الأبار في كتابه¹(نزل عبد الحق ببجاية عند الفتنة الواقعة بالأندلس، عند انقراض الدولة اللمتونية، نشر بها علمه وصنف، تولى الخطبة والصلاة بجامعها، وكان فقيها حافظا عالما بالحديث وعلله، عارفا بالرجال، موصوفا بالخير والصلاح، والزهد والورع ولزوم السنة مشاركا في الأدب وقول الشعر)، وحسب عبد المنعم القاسمي²، أن الشبلي تأثر بأفكار أبي حامد الغزالي ونشر علومه وكتبه كالإحياء والمقصد الأسنى ومن أصحاب أبي علي المسيلي وأبو زيد عبد الرحمن الفزازي (ت 627هـ) بتلمسان، كان شاعراً صوفياً، اشتهر بقصيدته "الوسائل المتقبلة" في مدح الرسول، ألفها في قرطبة في عام 604 هـ

ب- اتجاه الترهيب والتخويف:

وهذا الأسلوب حسب الغبريني (ت 704هـ) من أحسن الطرق في الدعاء إلى الله، لأن الله جبل الخلق على أنهم لا يفعلون إلا بالخوف³. بينما ابن حمدان قد دعاه إلى عدم تقنين الناس

¹- التكملة، ط مدريد 1805، 547

²- عبد المنعم القاسمي، أعلام التصوف في الجزائر منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، ص1، دار الخيل القاسمي للنشر 2007، ص185

³- الغبريني، عنوان الدراية، ص127

التيارات الصوفية في الغرب الاسلامي

وطالبهم بتذكيرهم بنعم الله. وممن عرفوا في هذا الاتجاه أبو كزيباء يحيى الزواوي (ت 611هـ) الذي نعته الغبريني بقوله: (الشيخ الفقيه الصالح العابد الولي الزاهد)⁴، وكذا التادلي بقوله: (كان عبدا صالحا زاهدا ورعا)⁵ وقد أشارت بعض المصادر إلى أسلوبه الوعظي الذي تميز بالترهيب، وإكثاره من التخويف للناس لما رآه من واقع الحال المرير ببجاية⁶، مما دفع متصوفة عصره إلى دعوته إلى تغليب الرجاء والترغيب في مواعظه، فقد نصحه أبي مدين شعيب له: (حدثني، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الأنصاري، قال: سمعت أبا مدين يقول لأبي زكريا: لا تقنط الناس وذكرهم بأنعم الله، فقال له أبو زكريا: لا أقدر إلا على هذا)⁷، وحجته في ذلك أن غيره من الفقهاء والمتصوفة يرون المناكر؛ فلا يغيرونها ولا زال على هذا الحال حتى وفاته، ومن المعروفين علة هذا الاتجاه كذلك: أبو تميم الوهراني (عاش في القرن 7هـ) وابن الحجام التلمساني (ت 614هـ)

ت- اتجاه المجاهدة النفسية:

يظهر أن هذا الاتجاه عرف اتباعه بالتفرغ للعبادة وقلة مخالطتهم الناس، لذلك كانوا أقل معرفة بالنظريات الفلسفية وضعف مشاركتهم في العلوم الدينية. ومن أصحاب هذا الاتجاه: أبو عمرو عثمان التلمساني (ت 542هـ)، أبو العباس أحمد الخراز (ت 600هـ) وأبو الربيع سليمان الصنهاجي

ث- اتجاه التصوف التلقائي:

وهم ممن كانوا منغمسين في ملذات الدنيا فحدث لهم عارض أو عبرة جعلتهم يتحولون إلى الزهد، من أمثال هؤلاء: ابن الملي (ت 590هـ) أبو علي عمر الحباك التلمساني (ت 613هـ) كان غنيا ولما رأى الجموع الغفيرة التي شيعت أبا مدين شعيب، اعتبر من ذلك وعرف مكانة المتصوفة في المجتمع فتحول إلى التصوف.

2- تيار التصوف السني الفلسفي:

التزم صوفية هذا التيار بتعاليم القرآن والسنة من جهة وسعوا إلى اكتساب العلوم اللدنية، وتبنوا علم الكلام. ومن الاتجاهات التي عرفت في هذا التيار:

أ- اتجاه الغزاليون:

⁴ - الغبريني مصدر سابق، 1997، 61

⁵ - التادلي: 199 مصدر سابق، 7، ص 428.

⁶ - ابن قنفذ، مصدر سابق 1965، 28

⁷ - لتادلي، المصدر السابق، 1997، ص 428

التيارات الصوفية في الغرب الاسلامي

الذين تبناوا تصوف أبي حامد الغزالي (ت 550هـ) المبني على الكتاب والسنة وتصفية النفس، وعدم مجارة السلطان⁸. كما أن الغزالي لا يفرق بين المؤمن والصوفي، ويرى أن الصوفي هو من تحقق بقلبه باعتباره منبع المعرفة الذوقية، وانغمس في العبادة، الظاهرية والباطنية⁹، ومن أنصار هذا التوجه أبو اسحاق ابراهيم الهواري وعبد السلام التونسي (ت 512هـ)

ب- اتجاه المدينيون:

نسبة إلى أبي مدين شعيب (ت 594هـ) الذي ثار على أسلوب المجاهدة النفسية القاسية، وحصر معنى الزهد في تطهير القلب من حب الدنيا، كما حصر التصوف في الزهد والاجتهاد، كما يقوم تصوفه على المروءة والكرم وحسن المشاعر والتلطف في المعاملات، وقد سمع يوماً شيخاً يوعظ الناس بالترهيب فقال له: (لا تقنط الناس وذكرهم بأنعم الله)، كما قال في موضع آخر (إذا رأيتم الرجل تظهر له الكرامات ... فلا تلتفتوا إليه ولكن انظروا إليه كيف هو عند الأمر والنهي)¹⁰. وممن تأثروا بطريقته في التصوف أسرة المرازقة التلمسانيين، وأبي الحسن الشاذلي.

ت- الشاذليون:

تنسب لأبي الحسن الشاذلي (ت 656هـ) الذي شجب سلوكات التقشف في المأكل والملبس (ليس التصوف بالرهبانية وأكل الشعير ولا النخالة وارتداء الثياب الخشن، وإنما بالعلم واليقين والصبر والهداية)¹¹، كما أنه كان ينكر الكرامات الحسية، وتشبث بمذهب مالك في الفقه والأشعرية في العقيدة. من أنصاره أبو بكر بن مرزوق.

3- تيار التصوف الفلسفي:

يقوم أصحاب هذا التيار على مجاهدة النفس سعياً لكشف حجاب الحس لمعرفة الله، كما أن يعتمدون على النظريات الفلسفية في معرفة الوجود. ومنهم:

أ- الخراليون:

⁸ - الطاهر بونابي، الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين 14-15 الميلاديين، أطروحة دكتوراه العلوم في

التاريخ الاسلامي الوسيط، اشراف عبد العزيز فيلاي، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، 2008-2009، ص 82

⁹ - أبو حامد الغزالي، بداية الهداية، القاهرة 1954، ص 24

¹⁰ - بشير جلطي، حقيقة التصوف بين التأصيل والتأثير، دار الكتب العلمية، بيروت ص 271.

¹¹ - أحمد ابن عجيبة ومجد الحراق، عبد المجيد الصغير، شكالية إصلاح الفكر الصوفي في القرنين 18/19م، دار الآفاق الجديدة، المغرب، ط2،

التيارات الصوفية في الغرب الاسلامي

بقيادة أبي الحسن علي الحرالي التجيبي (ت 638هـ) الذي تبني أفكار المدرسة الاشراقية. منهم أبو الفضل القرطبي (ت 662هـ) وأبو منصور الملياني، ويذكر الغبريني كان لهم مسجد في بجاية يسمى "مسجد النطاعين"

ب- اتجاه الوحدة المطلقة:

يرون أن الله هو مجموع ما ظهر وما بطن ولا شيء سوى ذلك، وكل ما تره في الوجود ما هو إلا أوهام يعتقدونها الضمير. وقد قال عنهم ابن خلدون(ت 808هـ): إن صوفيه الوحدة المطلقة ارتكبوا في الشريعة ومتشابهها مرتكبات غريبة. ومن أنصار هذا الاتجاه في بلاد المغرب: الحلوي التلمساني وابن الدهاق وابن خميس.

اسهامات المتصوفة في الحياة السياسية والاجتماعية

اسهامات المتصوفة في الحياة السياسية والاجتماعية

على الرغم من أن التصوف تجربة شخصية تنزع بصاحبها إلى فك الارتباط بالماديات والاتصال بالروحانيات، وهذا في حد ذاته تعبير عن موقف من الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية التي يحياها، لذلك صرح أحد الدارسين المهتمين بالتصوف إلى اعتباره (إيديولوجية أزمة أنتجها مجتمع متأزم)². وهذا في حد ذاته يعبر عن مجارة الممارسة الصوفية وتعاطيها إما سلبا أو إيجابا مع مختلف الأزمات السياسية والاجتماعية والاقتصادية وحتى الطبيعية التي تحل بمجتمع المتصوف.

أولا: الاسهامات السياسية:

لقد سبق وأن تحدثنا في محاضرات سابقة عن علاقة الزهاد العباد والمتصوفة بالسلطة السياسية، وتجادبات العلاقة التي سادت بين الطرفين خلال المرحلة الوسيطة في الغرب الاسلامي، وعليه سنركز هنا عن ما قدمه المتصوفة في المجال السياسي.

التصوف الذي برز مع القرن 6هـ ببلاد المغرب هو ثمرة جهود الزهاد الأوائل، الذين لعبوا أدوارا سياسية متنوعة، حيث يشير ابن خلدون أن عدوة الأندلس مثلا (وطن الرباط والجهاد ومأوى الصالحين والزهاد)¹، تزخر كتب التراجم الأندلسية بأسماء الكثير من الزهاد والعباد، الذين كان لهم دور بارز في الوسط الأندلسي، بتقواهم وورعهم وتخليهم عن بهرج الحياة الدنيا، ونجدهم في الصفوف الأولى للجهاد، أمثال نعمان بن عبد الله الحضرمي الذي عرف بسخائه، بحيث كان يتصدق بعطائه كله، استشهد دفاعا عن ثغور الأندلس²، ومنهم من التحق بالثغور الشمالية أمثال: أبو الفتح الصدفوري وفرقد السرقسطي.

ورغم حالة الفتنة التي شهدتها فترة الحاجب المنصور، ساند المتصوفة المنصور في حملاته المتكررة على الممالك النصرانية (366- 392 هـ) انتصارا لحفظ أرض الاسلام، وذلك من خلال المرابطة بالثغور المتاخمة للممالك النصرانية ومن المتصوفة التي اشتهروا في تلك مخارق بن حكم القرطبي الذي استشهد في إحدى المعارك³.

¹- ابن خلدون، شفاء السائل، 21.

²- ابن خلدون، نفس المصدر، ص 325.

³- عصري المرابطين والموحدين، ص 18

اسهامات المتصوفة في الحياة السياسية والاجتماعية

وتجدر الإشارة هنا أن بعض الصلحاء والمتصوفة شاركوا في أغلب المعارك التي خاضها الموحدون ضد الممالك النصرانية كموقعة العقاب والتي كان من بين ضحاياها عدد من الصلحاء كأحمد بن هارون النفزي.

نجد بلاد المغرب لبعض المتصوفة نشاطا سياسيا وتوصلا مع الحكام، مثل أمراء الحفصيين الذين أبدوا احتراما كبيرا لصوفية بجاية، فقد كان الأمير أبو زكرياء الأول (649 هـ / 1228 / 1249-628م) معجبا بهم ساعيا لخدماتهم، إذ كان يستدعيهم إلى حضرته - بتونس، وكان ابنه يحيى زكرياء عالما متدينا، يعرض خدماته على صوفية بجاية، ولما وليَّ مُحَمَّد الأول المستنصر (ت 647 هـ)، كان يزور الصوفي علي بن أبي نصر فتح الله البجائي في منزله، ويحمل إليه الهدايا (40)، ويبحث إلى أبي القاسم بن عجلان القيسي (ت 675 هـ / 1277م) يطلب منه الموافقة على زيارته في منزله قصد التبرك به، ولفرط إعجاب المستنصر بالصوفية أنه عزل قاضي بجاية عندما أساء معاملته الصوفي أبي عبد الله مُحَمَّد القصري.

ورغم ذلك فقد وقف بعض متصوفة بجاية موقفا معارضا لسياسة الحفصيين في بجاية التي كانت تنذر بانفجار للأوضاع الاجتماعية، كما عارضوا الولاية عندما كان يخالفون أمور الشريعة كما فعل أبو عبد الله مُحَمَّد الشاطبي (ت 691 هـ / 1292 م)

وتشير مصادر المرحلة المرينية، أن الصلاح لم يقتصر على العبد لمنعزلين وإنما أشار صاحب 'الذخيرة السنينة' أن (محيو) جد الأسرة المرينية، كان رجلا صالحا ومجاهدا في سبيل الله⁴، كما ذكر نفس المؤلف أن الأمير المريني عبد الحق كان موصوفا "بالتقى والفضل والدين، معروفا بالورع والتقوى.. كثير الذكر والتسبيح.. لا يأكل إلا الحلال المحض"⁵

ويظهر أن حكام المرينيين كانوا يتقربون من الأولياء، فأقطعوهم الأراضي، وأعفوهم من المغارم، وعينوا لهم مرتبات جارية، وفي المقابل ذلك كان بعض المتصوفة يزكون سلطة أمراء وسلاطين بني مرين، ويقومون بأدوار اجتماعية هامة، كالتوسط بينهم وبين الرعية وإسداء النصيح وتبليغ السلطان حالة الرعية في العسر والرخاء لينتشر العدل بين الناس، وأفضل مثال على ذلك أنه في سنة (647)

⁴- ذكر ابن أبي زرع في كتابه "الذخيرة السنينة" أن محيو جد الأسرة الحاكمة شارك في غزوة الأرك، وتوفي متأثرا بجراحه "الذخيرة السنينة" ص: 29

⁵- ابن أبي الزرع، الأنيس المطرب، ص 284-285

اسهامات المتصوفة في الحياة السياسية والاجتماعية

هـ/1250م) ثار سكان مدينة فاس على عامل أبي يحيى المريني، فأوفد علماء البلد الولي الصالح أبا مُجَّد الفشتالي (ت 652 هـ/1254م) للتشفع عند الأمير وعقد الصلح بين الفريقين.

والجدير بالذكر أن أبا يحيى المريني كان يؤمن ببركة الفشتالي إلى حد أنه أوصى بأن يدفن بجوار قبره، كما يذكر ذلك صاحب "الذخيرة السنية"⁶، ومدفن الأمير المريني بروضة الصلحاء والعلماء لأكبر دليل على اعتنائه بأهل العلم والصلاح.

ويؤكد ابن مرزوق الخطيب على أن حكام بني مرين كانوا يعظمون الصلحاء والشرفاء والفقهاء، فقد خصص الباب التاسع عشر من كتابه لمناقب السلطان أبي الحسن المريني عندما قال: (في رعيه لمن له سلف صالح: وهذه صفة هذا البيت المرفع والقبيل المريني)⁷.

ثانيا: الاسهامات الاجتماعية

ومن الزهاد والعباد في هذه الفترة أيضا: أبو العجنس الزاهد، الذي كان معاصرا للحكم بن هشام، فقد عرف عنه كرامات وإجابات للدعوات عند الاستسقاء،

تشير كتب التراجم إلى تعاطف الشيخ الصوفي للعامة والفقراء أيان الأزمات والموارث، فكانت طائفة من كبار الصوفية قدوة في التواضع، كان الأمير المرابطي المتصوف، أبو زكرياء بن يوغان (ت 1242/537م) يسعى في حوائجه بنفسه، وكان عمر الحباك يحمل الزبل على رأسه لبيعه في السوق، وأبو الحسن عبيد الله النفزي، (ت 642هـ/1244م) في بجاية كان ينقل دلاء الماء على كاهله⁸. أبو علي عمر الحباك عرف بكثرة مجالسته للفقراء دون فراش زمن البرد، ومنهم من عرف بإجابة الدعاء، وبروز الكرامة كمخرج للأزمات الاقتصادية والاجتماعية، فقد نقل ابن الزيات حكاية عن الشيخ وجاج بن زلو اللمطي، مما رواه عنه أبو موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي، يقول فيها: (أصاب الناس جذب بنفيس فذهبوا إلى وجاج بن زلو اللمطي وهو بالسوس، فلما وصلوه، قال لهم: ما جاء بكم؟ فقالوا له: قحطنا وجئناك لتدعوا الله لنا أن يسقينا، فقال لهم: إنما مثلكم كمثل قوم أبصروا جبج نحل فظنوا أن فيه عسلا! ولكن انزلوا عندي فإنكم أضياف، فأضافهم ثلاثة أيام، فلما

⁶- الأنيس المطر، مصدر سابق، ص 293.

⁷- ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن، تقديم: محمود بو عياد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1981، ص 251.

⁸- عنوان الدراية، مصدر سابق ص 177.

اسهامات المتصوفة في الحياة السياسية والاجتماعية

عزموا على الانصراف وجاؤوه لوداعه ليرجعوا إلى بلادهم قال لهم: إياكم أن ترجعوا من طريقكم الأولى التي أتيتم فيها فارجعوا من طريق أخرى لتسكنوا في الغيران والكهوف من الأمطار، فلما انصرفوا عنه أرسل الله عليهم السحائب بالأمطار ودامت عليهم الأمطار فلم يصلوا إلى بلادهم إلا بعد ستة أشهر⁹.

تضمنت مصادر الطبقات والمناقب اسهامات المتصوفة في الجانب الاجتماعي، و يؤكد ذلك ما ذكره ابن الزيات من أن أغنياء بجاية كانوا يمثلون للمبادرات الاجتماعية، والاقتصادية التي يتزعمها الصوفية لإنقاذ المعوزين من الجوع لأنهم يعتقدون بحصول بركة منهم، وكذلك ما ذكره أحمد الغبريني عن المشاهد التي تحدث عند البجاويين أمام أضرحة الصوفية كضريح أبي زكرياء يحيى الزواوي¹⁰.

وقد تجلت قيم الرحمة والإحسان والإيثار في سلوك المتصوفة؛ فقد شاركوا الفقراء إحساسهم بمرارة الفقر، وبذل ما ملكت أيديهم بسخاء¹¹، فأبو العباس أحمد الخراز كان يتصدق بالثياب التي تمنح له، وكان أبو زكرياء يحيى الزواوي يشتري الطعام واللباس للفقراء من المال الذي يجمعه من الأغنياء¹².

وقد تقدمت أسرة قيروانية وفدت مع المهاجرين بمال لبناء جامع القرويين، وجامع الأندلس. قال ابن أبي زرع في شأنه: (وكانت فيهم امرأة مباركة صالحة اسمها فاطمة، وتكنى أم البنين بنت محمد الفهري القيرواني، أتت من إفريقية مع أختها، فسكنوا بالقرب من موضع الجامع)¹³، وأضاف الجزنائي موضحا أنه: (تحصل لهما 'أي للأختين' بالميراث مال كثير طيب، ورغبنا أن تصرفاه في وجوه البر، فأعلمنا أن الناس قد احتاجوا لبناء جامع كبير في كل عدوة من فاس... فشرعت فاطمة في بناء جامع عدوة القرويين ومريم في بناء جامع الأندلس)¹⁴، وفاطمة الفهرية هاته كانت ولاشك تقوم بدور اجتماعي، كمساعدة أبناء الفقراء والمساكين، وهي صفة اتصف بها الأولياء الصالحون.

⁹- ابن الزيات، لتشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد التوفيق، ط1، 1404هـ/1984م. ص ص 89 90

¹⁰- الغبريني، عنوان الدراية، 137

¹¹- خالد بلعربي، حركة التصوف في بجاية خلال القرنين 6 و7 الهجريين 12 و13 الميلاديين، ص63

¹²- ابن قفقد، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تح: محمد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس، 1968، ص 114.

¹³- ابن أبي الزرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس، دار المنصور للطباعة والنشر، 1973، ص 54

¹⁴- الجزنائي، جني زهرة الأس في بناء مدين فاس، المطبعة الملكية 1967م، 450.

اسهامات المتصوفة في الحياة السياسية والاجتماعية

وتظهر الامثلة التالية بساطة المتصوفة مما جعل العامة تلتف حولهم؛ فهذا أبا مدين احترف رعي الغنم، وأبا زكرياء بن يوغان اشتغل برعي الإبل، واشتغل بالفلاحة أبو النجم هلال بن يوسف الغبريني وأبو عبد الله المساري كان يعيش من أرض له، وكان ابو مرزوق أهل دين وتصوف، يحترفون العلم والتجارة في دكاكين لهم بالقيصرية، ودرب مرسى الطلبة بتلمسان، وفلاحة أرض العباد، وكان الفقراء يلجؤون إلى الأولياء لإيجاد مخرج لهم من الأزمات الاجتماعية، فكان أهل تلمسان يطلبون الدعاء من أبي مُجَّد عبد السلام التونسي (ت 1118/512م) وأهل بجاية يقصدون أبا لحسن عبيد الله الأزدي (ت 1292/691م) طلبا للدعاء¹⁵.

¹⁵ - عبد الكريم بليل، الدور الاجتماعي والنفسي لبواكير لتصوف في المغرب الأوسط، تطوير مجلة تعنى بالبحوث الفلسفية والاجتماعية والنفسية
المجلد 6 العدد 2 ديسمبر 2019. ص 122

اسهامات المتصوفة في الحياة الثقافية والدينية

يذكر ابن جبير (ت 614هـ): (أن بعض المتصوفة كانوا من جملة الشريعة فكان منهم الفقهاء والمحدثون والمفسرون) وبذلك ساهموا مساهمة إيجابية في حياة المجتمع العلمية. ومن مظاهرها ما يلي:

أولاً: تأليف الكتب :

سعت المدرسة الصوفية في المشرق إلى تعويد التصوف، على شاكلة ما فعله الفقهاء وعلماء الحديث، لذلك انخرط متصوفة الغرب الاسلامي في حركة التأليف ابتداء من القرن 4هـ، وقد تطرقنا في مصادر إلى بعض مصادر التصوف في الغرب الاسلامي، وإن غلب عليها كتب المناقب.

خلال القرن الثالث الهجري ميزة تميز بها هذا القرن ظهور المصنفات الزهدية الأندلسية، بعضها عمد إلى البحث في الفكر الصوفي وقواعده ومقاماته، ويعتبر "كتاب الزهد"، ليثمن بن رزق، من أولى المصنفات، وقد تعرض هذا المؤلف لنقد من فقهاء الأندلس والقيروانيين. رأوا في كتابه شخصاً ذا وساوس وأوهام، قال مُحَمَّد بن عبد الملك: قال لي أبو مُحَمَّد ابن مسرور بن الحجام بالقيروان: لا تنظر في كتاب يمن فإنه كان صاحب وساوس¹، وأخرى للتعريف برجال هذا الاتجاه، فقد ألف بن وضاح كتاب "العباد والعباد"، وابن برجان هذا من كبار متصوفة العهد المرابطي، من أهم مؤلفاته: شرح أسماء الله، الحسنى وتفسيره للقرآن الكريم تفسيراً صوفياً لم يكمله، ذهب في تأويل آياته على الطريقة الباطنية²، كما نجد ابن العريف صاحب المعارف المختلفة، وممن عرفوا بالزهد والورع، حيث اعتبره ابن سعد أحد الرجال الأولياء الأفراد المتسمين من سمات العلم والعمل بأعلى درجات الزهاد؛ فاجتمعت له بذلك كل المؤهلات التي جعلته قبلة للطلبة والمريدين الذين التفوا حوله ينهلون العلم، كما قصده العباد والزهاد (وكان العباد وأهل الزهد يألفونه ويحمدون صحبته)³.

كما أصبح أهل الأندلس ينظرون بعين التقديس إلى الكثير من الزهاد والعباد، نظراً لكونهم كانوا مستجابي الدعوة، حيث صار يطلق عليهم اسم الأولياء⁴، إذ تكرر ذكر العبارة "مستجاب الدعوة" كثيراً في كتب التراجم الأندلسية.

¹ - ابن الفرضي، تاريخ علماء الأندلس، دار الكتب العلمية، ص 448

² - عبد المنعم الحنفي ص 50

³ - ابن خلكان، وفيات الأعيان، 169/1.

⁴ - جمال علال البختي، مرجع سابق، 11

صنف الإمام أبي الحسن الشاذلي (ت 656هـ) عدة كتب منها "التسلي والتبصر"، وللمتصوف محي الدين بن عربي (ت 638هـ) حوالي أربعمئة مصنف منها: "مفتاح السعادة في معرفة المدخل إلى طريق الإرادة" و"مبايعة القطب في حضرة القرب" و"السراج الوهاج في شرح كلام الحلاج" و"الفتوحات المكية في معرفة الأسرار المالكية" و"فصوص الحكم" و"ترجمان الأشواق"

ولابن البنا المراكشي "مواسم الطريقة في علم الحقيقة" و"عوارف المعارف في حقيقة النظر للمعارف"، وكتب لسان الدين بن الخطيب عديد المؤلفات على الملبسين من المتصوفة "الرد على أهل الإباحة" و"سد الدريرة في تفضيل الشريعة"

ألف عبد الرحمن بن يوسف البجائي في النصف الثاني من القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي كتاب "قطب العارفين، ومقامات الأبرار والأصفياء الصديقين، الذي أحاط فيه بالفقه والتصوف متأثرا بكتاب الأحياء للغزالي وهو الذي لقب بـ "حامد الصغير".

كما نجد بعض المصنفات حاولت رصد المخالفات لدى من يزعمون أنهم من أهل الحقيقة، مثل ابن عباد الصوفي، الذي اتخذ موقفا واضحا ضد بدع زمانه، وهو يدعو "علماء الحقيقة" أي المتصوفة إلى محاربة كل أولئك الذين يشعلون الفتنة بين العامة باسم الدين⁵، وقد لعب دورا أساسيا في نشر اتجاه في التصوف وسيكون له شأن في الطريقة "الشاذلية" التي ستعرف ازدهارا كبيرا، وستبلغ على يد الجزولي (ت 870 هـ/1468م) شأوا كبيرا.

وابن عباد أول من كتب شرحا لحكم ابن عطاء الله (ت 708 هـ/1308م) تلميذ الشاذلي (ت 656 هـ/1287)، وسينتشر بين الناس انتشارا لا يضاهيه إلا شرح متصوف آخر، هو أحمد زروق (ت 899 هـ/1494م).

خلف محي ابن عربي تراثا فكريا من المؤلفات التي تربو على المائتي مؤلف، شرح في بعض منها نظريته الصوفية، ومن أهم هذه المؤلفات الفتوحات المكية، فصوص الحكم، عنقاء مغرب في معرفة الأولياء وشمس المغرب، مواقع النجوم والأنوار فيما يفتح على صاحب الخلوة من الأسرار، كما ألف في التفسير كتبا عديدة نذكر منها: التفسير الكبير، لم يتمكن من إتمامه، ثم الكتاب المعروف بتفسير

⁵ ابن قنفذ القسنطيني: أنس الفقير وعز الحقيير ص 176.

الشيخ الأكبر، وهو تفسير رمزي صوفي للقرآن الكريم، أما مؤلفاته الشعرية فهي تتجاوز العشر مؤلفات، تتمثل في دواوينه وأهمها: ديوان ترجمان الأشواق والديوان الأصغر⁶.

ثانيا: التدريس

ساهمت الحركة الصوفية في نشر التعليم والفضائل، من خلال ما قامت به الزوايا، مثلا كان بزواية السوسي حوالي 900 طالب، وقد تخرج من زوايا توات أعلاما مثل عبد السلام التواتي، وعبد العزيز الدباغ، كما كانت كتب التصوف تدرس إلى جانب كتب التفسير والحديث؛ فهذا أبو المحاسن الفاسي يدرس قوت القلوب والإحياء، وانقطع الفقيه المتصوف الرقاق لقراءة الحديث والفقه والتصوف.

اهتم المتصوفة بالشعر وأهم غرض نظموا فيه هو مدح النبي "ص" سيما في فترة الموحدين وما بعدها، مثل البوصيري (ت 696هـ) الذي ألف قصيدته "الكواكب الدرية في مدح خير البرية" والسماة ب "البردة" و"الهمزية"، وذكر صاحب "السلسيل العذب" أن أبا محمد عبد العالي الاغزاوي (ت 769هـ/1368)، قد (قطع نصف عمره في قراءة العلم وتدريسه، ونصفه في العمل به⁷، وأنه جمع بين كرم الأخلاق والخلال، مآثور الفعال، وارث الخير ومزكيه... مكتره الفساد، ناصح لعامة المسلمين مهتم بشأن أهل الدين، لا تأخذه في الحق لومة لائم، كثير المواساة، متعطف على جيرانه، محبوب عند الخاصة والجمهور)⁸، وكان يدرس لطلبته رسالة أبي زيد القيرواني، ورعاية المحاسبي، وكتب التصوف.

الفقيه العلامة المتصوف أبو العباس أحمد بن سعيد القيجميسي الذي درس علوم الفقه والتصوف بالمدرسة العنانية بالطالعة من فاس، ومن طلبته ابن غازي المكناسي⁹ وهذا دليل آخر على أن التصوف كان يدرس ليس فحسب في الزوايا والربط، ولكن أيضا بالمدارس الرسمية. منهم الفقيه أبو عبد الله التاودي الفاسي، الذي كان يعلم الصبيان فيأخذ الأجر من أولاد الأغنياء فيرده على أولاد الفقراء¹⁰، ومنهم أبو عبد الله محمد بن موسى الحلفاوي المدجن نزيل فاس (ت 758هـ/1357م)،

⁶- فاطمة لزهراء جدو، السلطة والمتصوفة في الأندلس عهد المرابطين والموحدين، مذكرة ماجستير، 2007-2008، 93،

⁷- الحضرمي: السلسيل العذب - تحقيق المرحوم محمد الفاسي، (مجلة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة) ج:1 - المجلد: 10 - 1964، ص

64:

⁸- نفس المصدر، ص74 75.

⁹- ابن زيدان: إتحاف إعلام الناس ج 1/ 13-16

¹⁰- ابن قنفذ القسنطيني: أنس الفقير وعز الحقيير ص: 30 و90.

ومذهبه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتصدق على المحتاجين بالقوت واللباس، ومن أصحابه أبو الربيع سليمان اليازغي ومن تلامذته أبو عبد الله الزجاجي المتوفي سنة (768 هـ/1367م) يعتبر أبو عبد الله الأبلي (ت 757 هـ/1357م) شيخ العلوم العقلية، حيث درس العلوم العقلية بتلمسان وفاس ومراكش، واختصه السلطان المريني أبو الحسن ونظمه في جملة العلماء بمجلسه، وهو من خلال ذلك يعلم العلوم العقلية ويثبها بين أهل المغرب (حيث حذق فيها الكثير منهم)، ومن طلبته المبرزين طبعاً ابن خلدون. وابن مرزوق الخطيب التلمساني (ت 781 هـ/1379م) الذي يعتبر من كبار الفقهاء والصالحين، ساهم في التواصل الثقافي بين المغرب والمشرق لما هاجر لمصر حيث اشتغل أستاذاً وقاضياً وخطيباً، إبان القرن الثامن الهجري¹¹. أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن اللخمي الإشبيلي، أصله من إفريقية التزم دراسة الحديث والرفائق وعلم الكلام والتفسير، فبرع فيهم حتى عد إماماً في كل ما ذكر، إضافة إلى مشاركته في علم الحساب والهندسة. وفي قلعة بني حماد اشتهر جماعة من الصوفية مثل أبو الفضل بن النحوي (ت 1119/514م) كان يدرس الحديث وأصول الدين وأبو زكريا يحيى الزاوي اخص بتدريس الفقه والحديث وعلم التذكير بالجامع الأعظم ببجاية وأبو اسحاق التنسي (ت 680 هـ/1281) كان يدرس الحديث بتلمسان وينفق على طلبة البوادي¹²

اهتمام المتصوفة بعلوم القرآن والحديث:

من الكتب التي عني بها المتصوفة سيما في المغرب الأوسط "كتاب الإبريز والإكسير في علم التفسير" لأبي رأس الناصري، يتضمن الكتاب شروحات تفسيرية لمن سبقه من العلماء وبذلك هو شارح وناقل، كما كانت له تقييدات على عدد من المصنفات مثل "تقييد على الخراز" والدرر اللوامع والطرارز وهي تتعلق بالقراءات، وأحمد بن ثابت التلمساني، صاحب "الرسالة الغراء في ترتيب أوجه القراء" وهي تعد من أفخر ما ألف في علم القراءات باعتماده على الشاطبي وابن الجزري وفي الحديث نجد كتاب "عقد الجمان اللامع المنتقى من قعر بحر الجامع" لمحمد بن علي القوجيلي، وكتاب "إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن" وهو كتاب يحارب التقليد والتعصب المذهبي، كما أن هناك من برع في العلوم الشرعية، وكان مع ذلك زاهدا ورعا، كزياد بن عبد، الرحمن

¹¹ - ابن قنفذ: أنس الفقير وعز الحفير / ص: 9-10.

¹² - بليل عبد الكريم، الدور الاجتماعي والنفسي لبواكير التصوف في المغرب الأوسط، مجلة ص 120

تلميذ الإمام مالك (ت 194 هـ) فقد كان لشدة زهده لا يستحق شهادة العوام فقط، وإنما شهادة الأمراء أيضا كالأمير هشام (ت 180م/796) ¹³.

يرى أن تسمية بعض المتصوفة كانوا على طريقة: (أهل الكلام في بعض فروع العقائد، ولم يكن فيهم أحد على مذهب الفلاسفة، وإنما ظهر التفلسف في المتصوفة المتأخرين؛ فصارت المتصوفة تارة على طريقة صوفية أهل الحديث وهم خيائهم وأعلامهم، وتارة على اعتقاد صوفية أهل الكلام فهؤلاء دونهم، وتارة على اعتقاد صوفية الفلاسفة)

إذا كان التصوف منهج عملي مبني على كتاب والسنة، فإنه اخترق كما اخترقت علوم الشريعة والأصول من طرف متطفلين، فالمتصوفة ليسوا على قدر واحد من العلم والمجاهدة، وقد تظن لذلك ابن الجوزي في 'صيد الخاطر': (وجدت أكثر الصوفية والزهاد منحرفاً عن الشريعة بين جهل بالشرع وابتداء بالرأي، يستدلون بآيات لا يفهمون معناها وبأحاديث لها أسباب). ويعلل ابن الجوزي -في 'تلبس إبليس' - قسوته على الصوفية بقلة عنايتهم بالعلوم الشرعية: (ولما قل علم الصوفية بالشرع فصدر منهم من الأفعال والأقوال ما لا يحل مثلما قد ذكرنا، ثم تشبه بهم من ليس منهم وتسمى باسمهم وصدر عنهم مثلما قد حكينا، وكان الصالح منهم نادراً؛ ذمهم خلق من العلماء وعابوهم، حتى عابهم مشايخهم).

كما نجد تشنيعاً من الإمام النووي على غلاة الصوفية الذين يفتون بغير علم؛ فهذا هو يقول - في 'شرح مسلم' - بعد ذكره لأحاديث التداوي: (وفيها رد على من أنكر التداوي من غلاة الصوفية). ونجد صدى ذلك لاحقاً عند الإمام ابن حجر في 'فتح الباري'؛ إذ ينتقد في مسألة من المسائل جهلة الصوفية فيقول: (وأقدم بعض غلاة الصوفية على تأويل الحديث بغير علم)

¹³ - عصري المرابطين والموحدين، ص 15

خطاب الكرامة في النص الصوفي

خطاب الكرامة في النص الصوفي

أولاً: مفهوم الكرامة

الكرامة لغة: أصلها كلمة (ك ر م) و تعني كثرة الخير والعفاء والجود، ويقول ابن منظور " الكرم منها الكريم من صفات هلالا سبحانه وتعالى، وهو كثير الخير الجواد، والكريم هو الجامع لأنواع الخير والشرف والفضائل ويقال: قد كرم الرجل بالضم ك رما وكرامة فهو كريم¹، وذكر الفيروز آبادي أن الكرم ضد اللؤم، كرم بضم الواو وكرامة فهو كريم². وهذا يعني أن الكرامة في اللغة هي لفظة جامعة لمعاني الخير والبر.

الكرامة في الاصطلاح

يعرفها الجرجاني (بأنها ظهور أمر خارق للعادة من قبل شخص غير مقرون بدعوى النبوة، فما لا يكون مقرونا بالإيمان والعمل الصالح يكون استدراجا، وما يكون مقرونا بدعوى النبوة يكون معجزة³، أما الكرامة بمعنى خرق العادة فلا يؤخذ بها عند المحققين، إذ أنها قد تكون ظاهرة على من لم تكتمل استقامته، أو كان مستدرجا وفي ذلك يقول هلالا سبحانه و من تعالى "ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا ميبا)⁴ ولذلك كان الصوفية يحذرون السالكين من هذه الخوارق حتى لا يخرج على المنهج المطلوب، فكان أعظم كرامة يمكن أن يتشوف إليها المرید هو طلب الاستقامة.

أما عن الدكتور علي زيعور في كتابه "الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم" فقد عرفها تعريفا مغايرا، حيث جعل الكرامة نبتت من المزاعم الشعبية ومنها إلى الاعتقاد الديني، فهي رواسب من عهود الكهانة والعرافة والسحر⁵.

ثانيا: وظيفة الكرامة

وظيفة الكرامة: يرى الباحث محمد أبو الفضل بدران⁶ أن للكرامة وظائف عديدة منها:

¹- ابن منظور، لسان العرب، دار الجيل بيروت 1988 ، 248/4

²- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، فصل الكاف

³- الجرجاني، التعريفات، ص 235

⁴- سورة النساء، 119

⁵- علي زيعور، الكرامة الصوفية والأسطورة والحلم قطاع اللاوعي في الذات العربية، ص112.

⁶- محمد أبو الفضل بدران، ص58

خطاب الكرامة في النص الصوفي

1- إثبات الولاية: ويرى هنا الباحث أن السالك في طريق الله تعالى يوظف الكرامة لإقناع الناس بولايته وأنه في مقام القربي من الله، فبذلك سيصدقونه في كل ما يقوم به، بل سيطلبون منه المدد، لكن في الحقيقة هذا أسلوب أدعياء التصوف والولاية، لأن الولي الصادق لا يطلب ولايته من المجتمع وإنما يكون ولياً عند الله، فقد قال أبو الحسن بن محمد الغافقي الصواف: كان أبو مدين يقول: (الملتفت إلى الكرامة كعابد وثن، وإنما يصلي ليرى الكرامة)⁷.

2- التنفيس على أفراد المجتمع يتقبل المجتمع الكرامات الصوفية كظواهر عندما يعجز عن تفسير بعض الأشياء الغريبة التي يجهل تفسيرها، إضافة إلى ذلك التخفيف بها علمياً من الضغوط الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي يعاني منها المجتمع ويعتبرها المنتفس الديني الذي من خلالها يمكن التعبير عن شعوره بالكبت الذي واجهه، فيعتقد بوجود قوى خفية تساعد على حل جميع مشاكله، وهذه القوى الخفية تتمثل في الكرامات والأولياء الذين تقع عليهم فيلجأ إليهم ليكتسب طاقة موجبة قد تساعد لتجاوز تلك الضغوط، لكن الاعتقاد بوجود قوى خفية فهو من صميم عقيدة المؤمن، أن يعتقد أن الله قيوم السماوات والأرضين، من أسمائه القادر، لكن السؤال الذي ينبغي طرحه، هل أن الفرد له من اليقين الخالص الذي يجعله يلجأ إلى الله لعجزه أمام الأسباب، فالله يقول: (ومن يتقي الله يجعل له مخرجاً من حيث لا يحتسب) ومتى تحقق ذلك فهو كرامة من الله لعبده، فالقول إذن بأن الكرامة هي للتنفيس الاجتماعي، فهذا صحيح إذا كانت الولاية ادعاء ومزاعم، وعليه ليس هناك كرامة وإنما استدراج.

ثالثاً: أقوال المتصوفة في الكرامة

أبو القاسم القشيري إلى ذلك بقوله: "واعلم أن من أجل الكرامات التي تكون للأولياء: دوام التوفيق للطاعات، والعصمة من المعاصي والمخالفات".
قال الإمام الياقيني - رحمه الله تعالى -: "لا يلزم أن يكون كل من له كرامة من الأولياء أفضل من كل من ليس له كرامة منهم، بل قد يكون بعض من ليس له كرامة منهم، أفضل من بعض من له كرامة؛ لأن الكرامة قد تكون لتقوية يقين صاحبها، ودليلاً على صدقه وعلى فضله لا على أفضليته، وإنما الأفضلية تكون بقوة اليقين، وكمال المعرفة بالله تعالى".

⁷ - التادلي المعزي في مناقب سيدي أبي يعزى، تح: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ص 110

خطاب الكرامة في النص الصوفي

وذكر عند سهل بن عبد الله التستري الكرامات، فقال: "وما الآيات وما الكرامات؟! أشياء تنقضي لوقتها، ولكن أكبر الكرامات أن تبدل خلقا مذموما من أخلاق نفسك بخلق محمود." فإن الكرامة الحقيقية إنما هي في حصول الاستقامة والوصول إلى كمالها، من صحة الإيمان بالله عز وجل، واتباع ما جاء به رسول الله ﷺ ظاهرا وباطنا.

رابعاً: الكرامة في كتب المناقب والطبقات⁸:

من ابرز كتب المناقب والطبقات التي أولت عناية للحكاية الكرامية ببلاد المغرب كتاب (عنوان الدراية) للغبريني (ت 704 هـ - 1304 م) و(أنس الفقير وعز الحقير) لابن قنفذ القسنطيني (ت 810 هـ - 1407 م) و(بغية الرواد) ليحيى بن خلدون (ت 780 هـ - 1378 م) و(التشوق) لابن الزيات (ت 617 هـ - 1220 م) و(البستان) لابن مريم (القرن 17 م) و(المجموع) لابن مرزوق (781 هـ - 1379 م) و(روضة النسرين) و(النجم الثاقب) لابن سعد (910 هـ - 1496 م) و(صلحاء وادي الشلف) للمازوني (ت 333 هـ - 1478 م) و(المواهب القدسية في المناقب السنوسية) للملاي، وغيرها بحاجة إلى قراءة متفحصة للحكاية الكرامية.

وقد وفق أصحاب كتب الطبقات في التأسيس لنمط من الحكاية الكرامية، يعتمد طرد الشك في حقيقة الكرامة اعتماداً على الاستعانة بآليات علم الحديث في ضبط السند الصوفي والمصطلح الديني في دلالاته السنوية والفلسفية وتبريرها للرواية الكرامية باستثمارها لعناصر المعجزة عند الأنبياء بالنص القرآني واستخدامها لآليات الأدب في جوانب المقدمات والخواتم وفي الصياغة الجمالية والبلاغية والبعد القصصي⁹.

خامساً: ومن أنواع الكرامات التي تصورها الكتب المنقبية:

من الكرامات الخفية المكاشفات وطبي الأرض، وهي تتعلق بالكشف عن الأمور الغيبية، ويرى البعض أنها مرتبطة بخوف الانسان من المجهول فإذا كشف له خفّ روعه، مثل الحسن علي بن أحمد الحرالي (ت 637هـ/1239م) كاشف لمجموعة من أهل بجاية وظائفها في المستقبل، كما كاشف أهل الفساد كسبيل هدايتهم.

⁸ - عفاف غرزول، الخطاب الاجتماعي للكرامة الصوفية في المغرب الأوسط (6-10هـ/12-16م)، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، المجلد 2، العدد 01 ص ص 238-255.

⁹ - محمد مفتاح: التيار الصوفي والمجتمع في الأندلس والمغرب أثناء القرن الثامن الهجري، القسم الأول، أطروحة دكتوراه دولة، جامعة محمد الخامس، الرباط 1980 - 1981.

خطاب الكرامة في النص الصوفي

بالنسبة لطبي الأرض فوظيفة الكرامة هنا تغير العلاقة بين المسافة والزمن (بمشي على الماء، يطير في الهواء)، بحيث يتمكن هؤلاء الأولياء من قطع المسافة في ظرف وجيز وبجهد قد لا يذكر، وغالبا ما نجد ذلك في أداء فريضة الحج، أو زيارة قبر ولي، مثل ما حصل مع حمد بن حسن الغماري التلمساني (ت 874 / 1469م) الذي وصل بيت الله الحرام من تلمسان في ظرف وجيز، وفي حالات أخرى تعبر عن الرغبة في المشاركة في جهاد النصارى بالأندلس، كما نجد الصوفي قادر على توفير الأمن في المسالك المعروفة باللصوصية، ويتغلب عليهم بوسائل وجهيد بسيطين.

يظهر الدور الاجتماعي للكرامة في تدخل الأولياء في قضاء حوائج الناس، فكثيرا ما تشير كتب المناقب والطبقات إلى أزمات تحصل في مجتمعاتهم فلم يكن السبيل إلى دفعها إلا اللجوء إلى الأولياء بطلب الدعاء منهم¹⁰، كما تظهر نصوص الكرامة تطويع الحيوان، فالحسن بن مخلوف المزيلي (ت 657 / 1453م) كان الأسد يستحي منه¹¹، واستعملوه وسيلة للعقاب في حال رفض شفاعتهم، أو تسليط حيوان معين على المعرضين لهم.

ولم يتخلف النص الكرامي عن ما يعيشه العوام من فقر ومجاعات، فجاءت كراماتهم في الاطعام، وفي مكاشفة المعوزين، فأبا الحسن علي بن محمد الزواوي (ق 9 / 13م) أنقذ عائلة بجائية من الجوع، من أواخر الشتاء إلى أوائل الربيع¹² والأمر نفسه حدث مع أبي الحسن الحرالي (ت 637 / 1239م) الذي أعان أهله بـ "شكارة قمح" وزادت عن حاجتها، وبذلك فزيادة عن الكرامة، تطرح هنا قضية البركة المرتبطة بالولي¹³. كما تدخل الكرامة زمن الجذب والقحط، بدعاء الولي للاستسقاء، مثلما حدث في بجاية عندما نزل بها جفاف فرفع عنها بدعاء أبي الحسن الحرالي (ت 637هـ / 1239م) وحدث أن استسقى أهل تلمسان بأبي بكر بن يوغان الصنهاجي (ت 537 / 1441هـ) زمن قحط أصاب البلاد فسقوا¹⁴، كم كان يقوم أحمد بن حسن الغماري (ت 874 / 1469م) بسقاية أهل سوق ندرومة بإبريق واحد من الماء، فزايد تعظيم الناس له.

¹⁰ - مسعود بريكة، المتصوفة والسلطة في بجاية الحفصية، ضمن كتاب مغرب أوسطيات، منشورات مكتبة إقرأ، قسنطينة 2013، ص 114

¹¹ - التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تح: عبد الحميد عبد الله، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ط1 طرابلس 1989، ص 262.

¹² - الغبريني، عنوان الدراية، تح: عادل نويهض، دار الأفاق الجديدة، بيروت ط1، 1979، ص 126

¹³ - بن مرزوق، المناقب المرزوقية، تح: سلوى الزاهري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2014، ص 231.

¹⁴ - ابن الزيات التشوف، تح: أحمد توفيق، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط2، 1997، ص 124.

خطاب الكرامة في النص الصوفي

كما تتجلى وظيفة الكرامة في علاج المرضى، لذلك كان بعض ممن يواجهون المرض أو الجنون، يطلبون الشفاء من الأولياء، فكان هذا الأخير يلمس أو يضع ريقه على صاحب البرص أو الصرع أو الأعمى فيشفى - بإذن الله - كأحمد المغراوي (988هـ / 1589م)¹⁵.

وغالبا ما يتخذ المتصوف موقفا عدائيا، من السياسة الجبائية ضد العامة، حيث استجار سكان تلمسان بالولي عبد الله بن منصور المغراوي (ق 9هـ / 15م) عندما فرض سلطان تلمسان جباية على أهل المدينة (أفسدت بيت مال المسلمين)¹⁶، ورفض طلب الولي برفعها عن العامة، فدعا عليه الولي، فظهرت استجابة الدعاء في شكل مغص وآلام في البطن أصاب السلطان، فما كان منه إلا لتوجه للولي وطلب الصفح عنه¹⁷. وقد واجه المتصوفة الفساد الأخلاقي في المجتمع من شرب الخمر والسرقه وغيرها، فاحمد بن موسى الشريف الإدريسي دخل سارق لبيته بتلمسان، فلما أرادوا الخروج أضعوا الطريق، فساقهم - الله - إلى الشيخ واعترفوا بذنبهم وتابوا على يديه¹⁸، كما كان بعض الأولياء يكشفون أصحاب الرذائل، مثل الحسن أبركان (1453/857م) كان كثيرا ما تشهد مجالسه بتلمسان مكاشفات لأصحاب اللهو¹⁹، كما كان يشهد الأمر ذاته لذي أبي مدين شعيب (594هـ / 1198م) في مجالسه ببجاية بمكاشفة معاقري الخمر²⁰.

¹⁵ - ابن مريم، البستان، تح: محمد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر، ص 282.

¹⁶ - ابن مريم، نفس المصدر، ص 137.

¹⁷ - نفسه، ص 138.

¹⁸ - نفسه، ص 26.

¹⁹ - ابن سعد، روضة النسر في التعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين، تح: يحي بوعزيز، منشورات anap، الجزائر 2004، ص ص

135 137. ص 136.

²⁰ - الغبريني، مصدر سابق، ص 150.

1- المصادر

- التادلي، المعزي في مناقب سيدي أبي يعزى، تح: أحمد فريد المزيدي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- التميمي، مُحمَّد بن عبد الكريم، المستفاد في مناقب العباد بمدينة فاس وما يليها من البلاد، تح: مُحمَّد الشريف، منشورات كلية الآداب والعلوم الانسانية بتطوان، الطبعة الأولى، الرباط، 2002
- التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، تح: عبد الحميد عبد الله، منشورات كلية الدعوة الاسلامية، ط1 طرابلس 1989.
- ابن تيمية أبو العباس تقي الدين أحمد، مجموع الفتاوى، المحقق: عبد الرحمن بن مُحمَّد بن قاسم الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة
- جرجاني علي بن مُحمَّد، التعريفات، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف دار الكتب العلمية بيروت - لبنان الطبعة: الأولى 1403 هـ - 1983م.
- الجزنائي، جني زهرة الآس في بناء مدين فاس، المطبعة الملكية 1967م.
- ابن الجوزي، أبو الفرج جمال الدين المنتظم المحقق: مُحمَّد عبد القادر عطا، مصطفى عبد القادر عطا الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت الطبعة: الأولى، 1412 هـ - 1992 .
- ابن الجوزي، صفة الصفوة، المحقق: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة، مصر الطبعة: 1421هـ/2000م.
- الجوزية ابن القيم، مدارج السالكين، تح: ناصر بن سليمان وعلي بن عبد الرحمن القرعاوي وصالح بن عبد العزيز، خالد بن عبد العزيز الغنيم ومُحمَّد بن عبد الله الخضري، دار الصمعي للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، 2011،
- أبوحامد الغزالي، بداية الهداية، القاهرة، 1954.
- الحضرمي: السلسيل العذب، تحقيق المرحوم مُحمَّد الفاسي، (مجلة معهد المخطوطات العربية بالقاهرة) ج:1 - المجلد: 10 - 1964.
- الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، طبع ببيير فونتانة الشرقية، الجزائر، 1906.

البيبلوغرافيا

- ابن الخطيب لسان الدين ، اللوحة البدرية في الدولة الناصرية، تح: مُجَّد زينهم، الدار الثقافية للنشر.
- ابن خلدون عبد الرحمن، شفاء السائل.
- ابن خلدون، المقدمة ، دار الفكر، بيروت، لبنان. 2000
- ابن خلكان، وفيات الأعيان، المحقق: إحسان عباس الناشر: دار صادر - بيروت الطبعة الأولى (ب ت)
- الذهبي، العبر في أخبار من ذهب، تح: أبو هاجر مُجَّد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية.
- الذهبي، سير أعلام النبلاء، المحقق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط الناشر : مؤسسة الرسالة الطبعة : الثالثة، 1405 هـ / 1985.
- الرفاعي أحمد، البرهان المؤيد، دار الكتاب النفيس، بيروت، 1408.
- الزركلي، الأعلام دار العلم للملايين بيروت لبنان ط5 1980.
- ابن أبي الزرع علي الفاسي، الذخيرة السنوية في تاريخ الدولة المرينية، (ب ت) (ب. ط)
- ابن أبي الزرع، الأئيس المطرب بروض القرطاس، دار المنصور للطباعة والنشر، 1973.
- ابن الزيات، لتشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي، تحقيق أحمد التوفيق، ط1، 1404هـ/ 1984م.
- السبكي، تاج الدين ، طبقات الشافعية الكبرى، تح: محمود مُجَّد الطناحي، عبد الفتاح مُجَّد الحلو النار، هجر للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة: الثانية، 1413هـ .
- سلمى، أبو عبد الرحمن مُجَّد بن الحسين ، طبقات الصوفية ويلييه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات، حققه وعلق عليه: مصطفى عبد القادر عطا، منشورات مُجَّد علي بيضون، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط الثانية 2003.
- السهروردي، عوارف المعرف، طبعة دار المعارف، بيروت (ب ت).
- الشعراني عبد الوهاب ، الطبقات الكبرى المسمى لواقح الأنوار في مناقب العلماء والصوفية، ضبطه وصححه: عبد الغني مُجَّد علي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت.

- الأصبهاني أبو منعم ، حلية الأولياء وطبقات الاصفياء، دار الكتب العلمية- بيروت طبعة 1409 هـ .
- ابن سعد، روضة النسرين في التعريف بالأشياء الأربعة المتأخرين، تح: يحي بوعزيز، منشورات anap، الجزائر 2004.
- أبوبال المكي، مُجَّد بن علي بن عطية الحارثي، قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المرید إلى مقام التوحيد، المحقق: د. عاصم إبراهيم الكيالي، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة: الثانية، 2005م.
- الطوسي، للمع، تح: عبد الحلیم محمود، عبد الباقي سرور، دار الكتب الحديثة، مصر، 1960.
- عبد الواحد المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب.
- ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب في اخبار الأندلس والمغرب، تح: إحسان عباس، ط3 دار الثقافة، بيروت، 1983.
- العسقلاني ابن حجر، تهذيب التهذيب، دار الفكر ، بيروت 1984.
- عماد الحنبلي عبد الحي بيروت دار الكتب العلمية، تح: مُجَّد صديق المنشاوي دار الفضيلة، القاهرة (ب ت)
- الغبريني، عنوان الدراية، تح: عادل نويهض، دار الأفاق الجديدة، بيروت ط 1، 1979.
- الغزالي أبو حامد، إحياء علوم الدين، الدار المصرية اللبنانية (د ت).
- ابن الفرضي، تاريخ علماء الاندلس، مكتبة الخانجي، القاهرة الطبعة: الثانية، 1988 م.
- الفيروز آبادي، القاموس المحيط، فصل الكاف
- القادري، نسمة الآس في حجة سيدنا أبي العباس، تح: المصطفى مدوحي، وزارة الأوقاف ولشؤون الاسلامية
- القاضي عياض، الغنية، تح: ماهر زهير جرار الناشر: دار الغرب الإسلامي الطبعة: الأولى 1402 هـ - 1982م
- القاضي عياض أبو الفضل بن موسى اليحصبي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك ،مطبعة فضالة - المحمدية، المغرب الطبعة: الأولى

- ابن القاضي، درة المجال في غرة أسماء الرجال، تح: أبو النور، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، 1971.
- القشيري أبو القاسم ، الرسالة، تحقيق عبد الحليم محمود، ومحمود بن الشريف دار الشعب القاهرة 1989،
- القشيري، ترتيب السلوك، قدم له وحققه وشرحه: د. إبراهيم البسيوني وعاونه: مُحمَّد أحمد غانم، منشورات كنوز التراث الصوفي (ب ت)
- ابن قنفذ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تح: مُحمَّد الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، الدار التونسية للنشر، تونس 1968.
- الكلابادي أبو بكر مُحمَّد بن اسحاق (ت 380هـ)، التعرف لمذهب أهل التصوف، ضبطه وعلق عليه أحمد شمس الدين دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
- المازوني، أبو عمران موسى بن عيسى ، مناقب صلحاء الشلف وهو مختصر كتاب ديباجة الافتخار في مناقب أولياء الله الأخيار، دراسة وتحقيق، عبد القادر بوباية، دار الكتب العلمية، بيروت
- المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية .
- المحاسبي الحارث ، الرعاية لحقوق الله، تح: عبد القادر أحمد عطا، الطبعة الرابعة (ب ت) دار الكتب العلمية بيروت لبنان.
- المراكشي عبد الواحد ، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، المحقق: الدكتور صلاح الدين الهواري الناشر: المكتبة العصرية، صيدا-بيروت الطبعة: الأولى، 1426هـ - 2006م.
- ابن مرزوق، المسند الصحيح الحسن في مآثر مولانا أبي الحسن، تقديم: محمود بوعيادة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1981،
- ابن مرزوق، المناقب المرزوقية، تح: سلوى الزاهري، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2014.
- ابن مريم، البستان، تح: مُحمَّد بن أبي شنب، المطبعة الثعالبية، الجزائر،
- ابن الملقن، طبقات الأولياء، تح: نور الدين سرية، مكتبة الخانجي القاهرة، ط 2، 1994.
- ابن منظور، لسان العرب، دار الجيل بيروت 1988 .

- ابن ناجي، معالم الايمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق مُحَمَّد الأحمدي ومُحَمَّد ماضور، طبع المكتبة العتيقة تونس د.ت.

- النباهي المالقي، تاريخ قضاة الأندلس، تح: مريم قاسم الطويل، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1995.

- الهروي أبو اسماعيل عبد الله ، منازل السائرين، دار الكتب العلمية (ب ت)

2- المراجع

- الطاهر بونابي، الحركة الصوفية في المغرب الأوسط خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين 14-15 الميلايين، أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الاسلامي الوسيط، اشراف عبد العزيز فيلاي، جامعة الجزائر، قسم التاريخ، 2008-2009.

- عبد الحميد عبد مذكور، نظرات في التصوف، دار الهاني، القاهرة 2006.

- أبو الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، الطبعة الأولى، القاهرة .

- أبو المحاسن مُحَمَّد بن خليل القاوقجي ، البدر المنير على حزب الشاذلي الكبير، كتاب ناشرون، بيروت.

- إحسان إلهي ظهير ، التصوف المنشأ والمصادر، دار ترجمان السنة، باكستان، 1981.

- إحسان إلهي ظهير، دراسات في التصوف، دار الإمام المجدد للنشر والتوزيع الطبعة: الأولى، 1426 هـ - 2005 م .

- أحمد ابن عجيبة ومُحَمَّد الحراق، عبد المجيد الصغير، اشكالية إصلاح الفكر الصوفي في القرنين 18/19م، دار الآفاق الجديدة، المغرب، ط2، 1415هـ-1994م.

- أحمد الشريف، المواهب السنية في المآثر الشاذلية، القاهرة، 1967.

- بشير جلطي، حقيقة التصوف بين التأصيل والتأثير ، دار الكتب العلمية، بيروت .

- بوتشيش، وقع خطاب كتاب الإحياء للإمام الغزالي في مجتمع الغرب الإسلامي ضمن كتاب "إضاءات حول تراث الغرب الإسلامي وتاريخه الاقتصادي والاجتماعي، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، مارس 2002.

- سامية مصطفى، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في إقليم غرناطة في عصر المرابطين والموحدين، مكتبة الثقافية الدينية، القاهرة، ط 1 . 2003.

- شوقي ضيف، عصر الدول والامارات - الأندلس، دار المعارف 2017.
- عبد العزيز سالم، تاريخ مدينة لمرية، ط1، ار النهضة العربية، بيروت، 1969.
- عبد الله عنان، دولة الاسلام في الأندلس، العصر الأول، القسم الثاني، ط3، مكتبة الخانجي، القاهرة 1988..
- عبد المنعم القاسمي، أعلام التصوف في الجزائر منذ البدايات إلى غاية الحرب العالمية الأولى، ص1، دار الخيل القاسمي للنشر 2007.
- علي زيعور، الكرامة الصوفية والاسطورة والحلم قطاع اللاوعي في الذات العربية.
- فاطمة لزهراء جدو، السلطة والمتصوفة في الأندلس عهد المرابطين والموحدين، مذكرة ماجستير، 2007-2008.
- محمد العبدية وطارق عبد الحليم، الصوفية نشأتها وتطورها، هنداوي، لنشر المعرفة والثقافة .
- محمد العبدية، الصوفية نشأتها وتاريخها، هنداوي، لنشر المعرفة والثقافة.
- محمد مفتاح، التيار الصوفي والمجتمع في الأندلس والمغرب أثناء القرن الثامن الهجري، القسم الأول، أطروحة دكتوراه دولة، جامعة محمد الخامس، الرباط 1980 - 1981.
- مسعود بريك، المتصوفة والسلطة في بجاية الحفصية، ضمن كتاب مغرب أوسطيات، منشورات مكتبة إقرأ، قسنطينة 2013،
- نللي سلامة العامري، التصوف بإفريقية في العصر الوسيط، دار كونتراست للنشر، سوسة - تونس، أفريل 2009.
- أبو بكر جابر الجزائري، إلى التصوف يا عباد الله، دار البصيرة، (ب. ت)
- عبد الحفيظ فرغلي علي القرني، عبد الوهاب الشعراني إمام القرن العاشر، الهيئة المصرية للكتاب 1985
- عبد الحكيم عبد الغني قاسم صاحب كتاب المذاهب الصوفية ومدارسها، بمدرسة حسن البصري، مكتبة مدبولي، الطبعة الثانية 1999.
- عبد الله بن دجين السهلي، الطرق الصوفية نشأتها وعقائدها وآثارها، دار كنوز إشبيليا للنشر والتوزيع 1426م. أبو الوفا الغنيمي التفتازاني، مدخل إلى التصوف، دار الثقافي للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة،

3. المجالات

- ولد البشير، مُجَّد المصطفى، التصوف الإسلامي : المصادر، المؤثرات، الأدوار، دورية كان التاريخية، سبتمبر 2016، العدد 33.
- عمر عبدالله عبدالعزيز، التصوف العراقي ومدارسه وأثره على المشرق، مجلة الدراسات التربوية والعلمية، 2020، المجلد 2، العدد 16.
- رشيد اليملوي، الكتابة المناقبية في الغرب الاسلامي دراسة في بعض الملامح، دويرة كان التاريخية، العدد 52، يونيو 2021.
- خالد بلعري، حركة التصوف في بجاية خلال القرنين 6 و7 الهجريين 12 و13 الميلاديين.
- عفاف غرزول، الخطاب الاجتماعي للكرامة الصوفية في المغرب الأوسط (6-10هـ / 12-16م)، مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، المجلد 2، العدد 01 .
- عبد الكريم بليل، الدور الاجتماعي والنفسي لبواكير لتصوف في المغرب الأوسط، تطوير ، مجلة تعنى بالبحوث الفلسفية والاجتماعية والنفسية المجلد 6 العدد 2 ديسمبر 2019.

4. المواقع الالكترونية

- بلحوت نور الدين، الحارث بن أسد المحاسبي وخصائص مدرسته في التصوف، <http://tawaseen.com/?p=3642> بتاريخ 13 فيفري 2022. الساعة 23.
- مجموع فتاوى ابن تيمية، https://www.islamweb.net/ar/library/index.php?page=bookcontents&idfrom=1057&idto=1062&bk_no=22&ID=633
- مجموعة من المؤلفين، موسوعة الاخلاق الاسلامية، موقع المكتبة الشاملة.
- مجموعة من المؤلفين، الفرق المنتسبة للإسلام، إشراف الشيخ علوي بن عبد القادر السقاف، موقع الدرر السنية على الإنترنت dorar.net
- جامع المعاني . <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-%D8%A7%D9%84%D8%AA%D8%B5%D9%88%D9%81/> بتاريخ 11/02/2022
- الحافظ العراقي ، روضة العقلاء، المغني عن حمل الاسفار في تخريج ما في الاحياء من الاخبار، http://numeric-quran.com/hadeeth_books_hadeeth.php?TitleID=6596&Book

البيبلوغرافيا

- عبد الباقي مفتاح، أضواء على الشيخ عبد القادر الجيلاني وانتشار طريقته، دار الكتب العلمية، بيروت.

- <https://www.habous.gov.ma/daouat-alhaq/item/7027> بتاريخ 2021/12/13



13..... 1	1. نشأة وتطور التصوف ببلاد المشرق الإسلامي. - مصادر دراسة التصوف في المشرق الإسلامي
22 14	- التصوف منشؤه ومصطلحاته
32 23	- مدارس التصوف في المشرق الإسلامي: النشأة والتطور
38...33	2. ظهور التصوف ببلاد المغرب والأندلس. - مصادر دراسة التصوف في الغرب الإسلامي
44 ... 39	- المرحلة الزهدية في الغرب الإسلامي.
47 45	- عوامل وظروف نشأة التيار الصوفي في الغرب الإسلامي
51 48	- أعلام التصوف في الغرب الإسلامي.
58 52	3- مراحل تطور التصوف في المغرب والأندلس. - مكانة التيار الصوفي لدى السلطة والعامّة
62 ... 59	- التيارات الصوفية السائدة في الغرب الإسلامي
67...63	4- إسهامات المتصوفة: - الحياة السياسية والاجتماعية
72....69	- الحياة الثقافية والدينية
77 73	- خطاب الكرامة في النص الصوفي
85 ... 78	- البيبليوغرافية